الحصاد

AL-HASAD Issue No: 167 / August 2025 | العدد ١٦٧ / آب ٢٠٢٥ | مجلة شهرية تُعنى بقضايا الوطن العربي والعالم

الازدواجية الدولية في التعامل مع أنشطة إيران وإسرائيل النووية

هل التفتيش على المفاعل الإسرائيلي خط احمر؟

الحصاد

AL-HASAD

Issue No: 167 - August 2025 العدد ١٦٧ـ آب ٢٠٢٥ـ

مجلة شهرية، تجعل من قضايا الوطن العربي والعالم محط اهتمامها، ماضياً، حاضراً ومستقبلاً

تصدر في لندن عن شركة Candour Communications Ltd.

رئيسة مجلس الإدارة ورئيسة التحرير:

إبتسام محمد سعيد أوجي

أعضاء مجلس الإدارة:

د. مازن الرمضاني

أمين الغفاري

المدير الفني:

حسين حمّود

ثمن النسخة :

٣ جنيهات سترلينية او ما يعادلها

الاشتراك السنوي :

٣٠ جنيهاً سترلينياً

لإعلاناتكم على صفحات «الحصاد»:

Telephone: 00 44 (0) 7444660507

"Al-Hasad" Head Office:

Lincoln House,
137-143 Hammersmith Road,
London W14 0QL (UK)
Telephone: 00 44 (0) 2076027055
00 44 (0) 7956229072
Fax: 00 44 (0) 2076035533
E-mail: info@alhasad.co.uk
Website: www.alhasad.co.uk

في هذا العدد

ص

موضوع الغلاف ٤
لماذا لا يحق لوكالة الطاقة الذرية التفتيش على المفاعل الإسرائيلي؟

قضايا إقتصادية ٢٠
هل تستطيع الصين قيادة نظام مالي عالمي جديد؟

مستقبلات ٢٢
رؤية في المفهوم والتطور الكمي والنوعي بعد انتهاء الحرب الباردة

مهرجانات ٤٠
48 سنة من السينما الإفريقية في أعرق مهرجان بالمغرب

إضاءات فنية ٤٦
عبد الوهاب... عبقرية العصر الموسيقيه ببريقها المتوهج

كلمة «الحصاد»

السويداء... بؤرة فتنة جديدة من أشعلها؟.. لماذا؟

أُبتليَ الشعب العربي على مرّ العصور بفتن لا ناقةَ له فيها ولا جمل، وقد أضحت الفتنة سياسة متجذّرة في كل قطرٍ عربي منذ أن سقطت الأرض العربية بيد الاحتلال الأوروبي، البريطاني والفرنسي والإيطالي وغيرها وغدت الهيمنة الاستعمارية اليوم بأحضان إسرائيل وحاضنتها الكبرى أمريكا، وازدادت وحشيةً على يد نتنياهو وترامب .

الغريب في الأمر أن الجميع يلعن الفتنةَ ومؤججيها، إلّا أنهم يغذونها بكلّ ما أوتو من قوةٍ كي تظلّ مشتعلةً ولا تخمد.

فمن فتنةٍ بين المسلمين وغيرهم من أبناء الشرائع الدينية الأخرى، إلى فتنةٍ بين السنة والشيعة من المسلمين، ثمّ بين العرب والأعراق الأخرى من المواطنين على الأرض العربية، ناهيكَ عن تشرذم العرب بكلّ طوائفهم وأديانهم وأعراقهم بين أقطارٍ خطّها المحتل الأوروبي بعد سقوط الدولة العثمانية، فأصبحت هذه الخطوط حدوداً مقدّسةً لا يحقُ للعربي المساس بها أو تجاوزها .

وآخرها، الفتنةُ الأخيرة في (السويداء) ذات الأغلبية الدرزية، فمن المستفيد من صدامٍ بين المواطنين السوريين / مسلمينَ ودروزاً.

يحدثنا الأستاذ محمد المشنوق في مقاله لهذا العدد عن الدروز، تاريخهم وأصولهم الثقافية والإجتماعية وتطلعاتهم لحرية الأرض العربية السورية، وعن ثوراتهم المتواصلة ضد الإحتلال البريطاني ولفرنسي وقبلهما العثمانيٍ الذي كان خانقاً للشعب العربي طيلة ستةِ قرون ومصادراً حريته وموارده .

لم يكتف نتنياهو بتدمير وقتل وتهجير الفلسطينيين وجرف أراضيهم وبيوتهم كما تجويعهم حتى الموت في غزة حتى أصبح من الطبيعي أن نسمع ونشاهد عدد شهداء الجوع في نشرة الأخبار كما نستمع لنشرة الأنواء الجوية، حتى انتقلَ ليفتعلَ حرباً ضد سوريا بحجة الدفاع عن الدروز، وفي الحقيقة أن إسرائيلَ وأمريكا تريدان السيطرةَ الكاملة والوصول إلى عمق المنطقة لإستكمال مشاريعهم في السيطرة على منابعِ المياه وغاز المتوسط وإنشاء قناةٍ تغنيهم عن قناة السويس واحتواء طريق الحرير حين يستكمل مدّه .

وليقتل العربُ بعضُهم بعضاً، ولا عَزاءَ للأغبياء . ■

إبتسام

الحصاد

عزيزي القارئ

تفتح مجلة الحصاد ابوابها لأستقبال اجتهاداتكم وأرائكم واقتراحاتكم الفكرية والسياسية والأدبية وكذلك تعقيباتكم على الآراء التي تنشر على صفحاتها وإن كان ذلك يتطلب مراعاة الأعتبارات التالية:

- أن تكون لغة التحرير هي اللغة العربية التي تصدر بها المجلة وان يراعى في الكتابة الوضوح وسلامة النص.
- ان تتصف المقالات والدراسات بالموضوعية.
- يجوز للمجلة مراجعة الكاتب ان تضمن المقال بعض الأشارات الملتبسة أو التي لاتتفق وأهداف المجلة.
- ترحب المجلة بالحوارات الموضوعية والتعقيبات التي تنشر بها وكذلك بأي ردود فكرية او تصويب وهي فضلا عن ذلك ترحب بنشر التقارير عن المؤتمرات والندوات التي تعقد هنا او هناك.
- المقالات والدراسات المنشورة تعبر عن رأي اصحابها ولا تعبر بالضرورة عن رأي المجلة.

زوروا موقعنا على الرابط:

www.alhasad.co.uk

معاقبة إيران على برنامجها النووي وغض الطرف عن نشاط إسرائيل يكشف الازدواجية الدولية

لماذا لا يحق لوكالة الطاقة الذرية التفتيش على المفاعل الإسرائيلي؟

القاهرة: صفاء عزب*

«لا يحق للوكالة الدولية للطاقة الذرية أن تفتش على المنشآت النووية الإسرائيلية، وأنا كخبير بالمنظمة حاولت كثيرا أن أدخل بنفسي لمعرفة سبب منع إسرائيل لزيارة مفاعل ديمونة، حينما ذهبنا للتفتيش عن مفاعل ناحال سوريك، لكني لم أستطع وأدركت أن الموضوع أكبر بكثير مما كنت أتخيل!!»..

تصريح خطير للدكتور يسري أبو شادي كبير مفتشي الوكالة الدولية للطاقة الذرية السابق، وهو صادم ومحبط للمواطن العربي المهموم بما يتعرض له الفلسطينيون من جرائم إسرائيلية واستغلال تفوقهم العسكري في استهداف شعب أعزل لإبادته أو تهجيره من أرضه، ولكنه في نفس الوقت يشي بخفايا النشاط النووي الإسرائيلي السري. ولذلك عندما جاء الرد الإيراني قاسيا على الجرائم والهجمات الإسرائيلية على أراضيها، تهللت الوجوه العربية على أمل الانتقام من الاحتلال وكشف جرائمه أمام العالم وإفشال مخططه في السيطرة على المنطقة بمنطق القوة. وعندما تم استهداف المنشآت النووية الإيرانية ثار التساؤل حول إمكانية الرد بضرب المنشآت النووية الإسرائيلية.

وثار الجدل الكبير حول هذا الموضوع لكن تدخل الولايات المتحدة الأمريكية بكل ثقلها العسكري أوقف كل شئ.

واقع الأمر أن الحديث عن القدرات النووية الإسرائيلية يعد من الأسرار العليا على الرغم من وجود مؤشرات ووقائع تؤكد على امتلاك الكيان الصهيوني لسلاح نووي، لكنه يمارس هوايته في الخداع والإنكار بينما يدعمه الغرب بالتمويه وإضفاء طابع الغموض على هذا الأمر حتى لا تكون هناك تفاصيل محددة لخصومه السياسيين.

ولكن هناك تصريحات كشفت النقاب عن أسرار هذا الموضوع، خاصة أثناء حرب غزة حينما طالب مسؤولون إسرائيليون بضرب الفلسطينيين بالأسلحة النووية. منها تصريح وزير التراث الإسرائيلي عميحاي إلياهو الذي دعا خلاله إلى ضرب غزة بالسلاح النووي والذي أثار موجة من الانتقادات الواسعة ليس دوليا فقط، وإنما في الداخل الإسرائيلي أيضا، ليس إشفاقا على الفلسطينيين، ولكن لما ينطوي عليه هذا التصريح من اعتراف ضمني يكسر سياسة "الغموض النووي" الإسرائيلي المستمرة لعقود طويلة. وهو نفس ما أكدته

تصريحات عضو الكنيست الإسرائيلي ورئيس حزب "إسرائيل بيتنا" أفيغدرو ليبرمان، وهو يدعو إلى محاربة إيران بالسلاح النووي ويطالب بلاده في مقابلة محلية متلفزة بإنهاء سياسة الغموض بشأن إمكانياتها غير التقليدية قائلا: «لايوجد لدينا وقت للسلاح التقليدي».

وقبل ذلك بسنوات طويلة وتحديدا في عام 1986 قدم موردخاي فعنونو، أحد الفنيين الذين عملوا في موقع ديمونة (الذي يضم مركز أبحاث الطاقة النووية الإسرائيلية)، أول تقرير علني مُفصّل عن البرنامج النووي الإسرائيلي، ونشر صورا التقطها هناك لمكونات الأسلحة النووية، وهو ما انتهى بمعاقبته باختطافه من إيطاليا، لتسجنه إسرائيل لمدة 18 عاما، قضى معظمها في الحبس الانفرادي، ثم مُنع بعد ذلك من السفر إلى الخارج أو التعامل مع الصحفيين الأجانب.

ويبدو الدور الأمريكي الأساسي في التغطية والتستر على النشاط النووي الإسرائيلي والذي تعتبره أمريكا من الأسرار العظمى. و ذلك ما أكده المؤرخ الإسرائيلي الأميركي أفنر كوهين في كتاباته بأن التزام الولايات المتحدة بسياسة عدم الكشف الرسمي عن وجود أسلحة نووية في إسرائيل نشأ عقب اجتماع تم في سبتمبر 1969 بين الرئيس الأميركي آنذاك ريتشارد نيكسون ورئيسة وزراء إسرائيل وقتها جولدا مائير. وصرح أن الطرفين توصلا إلى اتفاق ينص على أن إسرائيل لن تُجري اختبارات نووية لأسلحتها أو تعلن عن وجودها، مقابل ألا تضغط الولايات المتحدة على إسرائيل للتخلي عن هذه الأسلحة أو للتوقيع على معاهدة منع انتشار الأسلحة النووية، وتتوقف عن تفتيش موقع ديمونا الذي يضم مركز أبحاث الطاقة النووية في منطقة النقب في إسرائيل.

وهو نفس ما أكده عالم الفيزياء فيكتور جيلينسكي، المفوض السابق في اللجنة التنظيمية النووية الأميركية خلال إدارات الرؤساء جيرالد فورد وجيمي كارتر ورونالد ريجان، حيث قال إن صمت الولايات المتحدة بشأن الأسلحة النووية الإسرائيلية، جاء بموجب اتفاق بين نيكسون وجولدا مائير.

وكانت الصدفة وحدها سببا لكسر حالة التعتيم الأمريكي الرسمي والمتعمد على البرنامج النووي الإسرائيلي، وذلك بعد أن أصدرت وكالة المخابرات المركزية (CIA) تقريرا استخباريا عام 1979 بعنوان: "آفاق مواصلة انتشار الأسلحة النووية"، وجاء فيه بالنص: "نعتقد أن إسرائيل أنتجت بالفعل أسلحة نووية، وذلك استنادا إلى مخزونها الهائل من اليورانيوم، بالإضافة إلى برنامجها لتخصيبه، واستثماراتها في نظام صاروخي باهظ التكلفة قادر على حمل رؤوس حربية نووية". ونشرت وقتها صحيفة «نيويورك تايمز»: أن"وكالة المخابرات المركزية صرحت أن إسرائيل تملك بحوزتها قنابل نووية"، بينما نشرت صحيفة «واشنطن ستار» ما يفيد أن إسرائيل عضو في النادي النووي منذ عام 1974.

نفس سياسة التكتم والتعتيم على الأسلحة النووية الإسرائيلية يتبعها الكونغرس الأميركي. عندما نشرت لجنة العلاقات الخارجية بمجلس الشيوخ تقريرا عام 2008 عن سباق التسلح النووي في الشرق الأوسط، تناول التقرير كلا من المملكة العربية السعودية ومصر وتركيا، بينما غض الطرف تماما عن إسرائيل ولم يتطرق إليها متجاهلا نشاطها النووي.

ويوجد تقرير أمريكي وحيد ينص بوضوح على أن المشروع الإسرائيلي في ديمونة يشمل مصنعاً لإعادة معالجة البلوتونيوم ويرتبط ببرنامج أسلحة، وهو تقرير استخباراتي صدر في نهاية 2024 كشف عن وثائق رفعت عنها درجة السرية صادرة عن أرشيف الأمن القومي الأمريكي وأفاد بأن الولايات المتحدة تعرف منذ ستينيات القرن الماضي أن إسرائيل يمكنها إنتاج بلوتونيوم صالح للاستخدام في صنع الأسلحة في مركز "ديمونة" الإسرائيلي للأبحاث النووية. كما أشار الرئيس كارتر في مذكراته إلى وجود اعتقاد قوي لدى العلماء الأمريكيين بأن الإسرائيليين أجروا تجارب تفجير نووي فعلية في المحيط القريب من الطرف الجنوبي لقارة إفريقيا.

لائحة سرية وتحذير للموظفين الأمريكيين

جدير بالذكر أنه توجد لائحة سرية، وهي «نشرة» تصنيف وزارة الطاقة WPN-136 بشأن القدرات النووية الأجنبية لمنع الموظفين الأميركيين من الحديث علناً عن ترسانة الأسلحة النووية الإسرائيلية بهدف حماية مصالح الأمن القومي. كما أصدر البيت الأبيض لائحة لتهديد جميع الموظفين بمن فيهم المتقاعدون بإجراءات عقابية إذا تحدثوا في هذا الموضوع وهو ما كشفه كتاب «صيد الأسلحة النووية» لأحد ضباط المخابرات الأمريكية الذين ساعدوا في منع حصول كوريا الجنوبية على أسلحة نووية، وهو الكتاب الذي طالب البنتاجون بحذف ما به من إشارات إلى البرنامج النووي الإسرائيلي. وهو نفس ما كرره البنتاجون مع العديد من الوثائق والمذكرات الأرشيفية التي كتبها دبلوماسيون أميركيون، حول ضرورة إجراء محادثات إقليمية لنزع السلاح النووي في الشرق الأوسط.

هذه السرية التي ألزمت بها أمريكا نفسها زادت أطماع الدولة الصهيونية وجعلتها تتبجح في الضغط على الرؤساء الأمريكيين لغض الطرف عن نشاطها النووي عبر السنين.

وهناك انتقادات واسعة لهذا النهج الأمريكي في التستر على النشاط النووي الإسرائيلي من خبراء ومحللين أمريكيين منهم ريتشارد لوليس، الضابط السابق في وكالة الاستخبارات المركزية الأميركية CIA والمساعد السابق لوزير الدفاع الأميركي لشؤون آسيا والمحيط الهادئ، وهنري سوكولسكي، المدير التنفيذي للمركز التعليمي لسياسة منع الانتشار، ووليام بور، المحلل البارز في أرشيف الأمن القومي بجامعة جورج واشنطن، والذين يعتبرون أن استمرار هذا النهج الأمريكي تجاه النشاط النووي الإسرائيلي يعد أمرا غريبا وضارا في نفس الوقت.

بداية المشروع النووي الإسرائيلي

بعد إعلان الكيان الصهيوني إقامة دولته على «

الأراضي الفلسطينية المحتلة عام 1948 لم يضيع بن جوريون أول رئيس لحكومتها الوقت وسرعان ما بدأ في خطة تأسيس النشاط النووي حيث قام جيشه بعمل مسح جيولوجي لصحراء النقب عثر خلاله على نسبة من اليورانيوم في مناجم الفوسفات بالمنطقة. توازى ذلك مع استقطاب للعلماء المتخصصين للإشراف على المشروع، وتم اختيار إرنست ديفيد بيرجمان الألماني الأصل لرئاسة هيئة الطاقة الذرية الإسرائيلية عام 1952 وهو نفسه الذي ترأس إدارة البحث والبنية التحتية التابعة لوزارة الدفاع، والتي تحولت عام 1985 إلى هيئة تطوير التسليح RAFAEL وتم تكليفها بتصنيع قنبلة نووية. انضم إلى بن جوريون وبيرجمان شيمون بيريز رئيس الوزراء الإسرائيلي السابق والذي كان يتولى وقتها منصب مدير وزارة الدفاع، وشكل الثلاثة هيئة عليا لإدارة البرنامج النووي الإسرائيلي آنذاك.

ولعبت فرنسا وأمريكا دورا كبيرا في دعم البرنامج النووي الإسرائيلي. ففي عام 1955 وافقت الولايات المتحدة على بيع مفاعل أبحاث تحت رعاية برنامج "الذرة من أجل السلام" إلى تل أبيب، وعلى الرغم من أنه لم يكن مسموحاً لإسرائيل بموجب اتفاق البيع، إنتاج عنصر البلوتونيوم، إلا أن تقريراً سرياً لبيرجمان كشف لاحقاً نية تل أبيب تحويل مفاعل الأبحاث الأميركي كنواة لمجمع أبحاث نووية أكبر. وفي عام 1957 شرعت فرنسا في بناء مفاعل نووي بطاقة 24 ميجاواط لإسرائيل، واشترت تل أبيب من النرويج 20 طناً من الماء الثقيل اللازم لسلسلة التفاعلات النووية، كما ساعد مهندسون فرنسيون في تشييد منشأة النقب للأبحاث النووية قرب ديمونة التي عاش بالقرب منها سرا ما يقرب من 2500 فرنسي في تلك الفترة للعمل في تخصصات مختلفة ومحظور عليهم التواصل مع الخارج إلا عبر عنوان وهمي في أمريكا اللاتينية. ويؤكد المؤرخ الإسرائيلي آفنر كوهين أن هناك قرائن تشير إلى حضور علماء إسرائيليين أول تجربة فرنسية لتفجير قنبلة ذرية، في منطقة صحراوية جنوب غربي الجزائر عام 1960.

أكثر من نصف قرن مرت على بداية التخطيط للبرنامج النووي الإسرائيلي ولازال التطوير مستمرا حتى أشارت مراكز متخصصة إلى احتمالية امتلاك الكيان الصهيوني لما يقرب من 100 رأس نووي حربي إلى جانب امتلاك أسلحة نووية تعتمد على الكميات الكبيرة المنتجة من البلوتينيوم، وكذلك كميات اليورانيوم الكبيرة التي تم نقلها من أمريكا بشكل يثير المخاوف على أمن المنطقة.

ازدواجية المعايير والكيل بمكيالين

رغم كل القرائن والمعلومات وشهادات العلماء والسياسيين الدالة على وجود سلاح

نووي في إسرائيل لم يتعرض الكيان الصهيوني لأي ضغط دولي للتخلي عن نشاطه كما حدث ويحدث مع إيران، ولم تستطع جهة معنية بالتفتيش الدخول إلى الأماكن المشتبه بها داخل إسرائيل حتى ولو لإبعاد الشكوك عنها.

المثير في الأمر أن العالم الغربي يقف ضد إيران بحجة منعها من امتلاك أسلحة نووية بينما يغض الطرف عن ترسانة الأسلحة النووية الإسرائيلية التي تهدد منطقة الشرق الأوسط وشعوبها. وفي الوقت الذي حركت فيه الولايات المتحدة أساطيلها حول العالم وقامت بتوجيه ضربة للمنشآت النووية الإيرانية لمجرد الشك رغم استعداد إيران للتعاون والتفاوض قبل الحرب، ومع ذلك لم تحاول الولايات المتحدة ولا أي دولة غربية محاسبة الكيان الصهيوني على نشاطه النووي والتعامل معه بالمثل.

والمثير للسخرية أن إسرائيل التي سعت منذ نشأتها السرطانية لامتلاك سلاح نووي تمنع غيرها من الحصول عليه وتنصب نفسها قاضية بتوجيه ضربات لدول مثل إيران دون أن يحاسبها أحد.

والأكثر غرابة أنه مع كل ذلك لا يحق للهيئة الدولية للطاقة الذرية أن تتخذ أي موقف تجاه التهديدات الإسرائيلية لأمن الشرق الأوسط بسبب نشاطها النووي! فأي تناقض وأي ازدواجية نعيش فيها ولماذا الكيل بمكيالين؟!

الدكتور يسري أبو شادي كبير مفتشي الوكالة الدولية للطاقة الذرية سابقا يشرح السبب في هذا التناقض قائلا أنه في الوقت الذي التزمت فيه دول العالم بالانضمام لمعاهدة حظر انتشار الأسلحة النووية والتي يتم بمقتضاها محاسبة من يخالفها، فإن هناك أربع دول لم تصدق على المعاهدة وهي الهند وباكستان وكوريا الشمالية وإسرائيل، ولذلك لا يحق للوكالة دخول هذه الدول والتفتيش على نشاطها النووي إلا وفق اتفاقيات خاصة بأجزاء معينة من المنشأت في حالة دخول أجهزة إليها كما حدث عندما حصلت إسرائيل على مفاعل ناحال سوريك وبعض الأجهزة من الولايات المتحدة الأمريكية فكان التفتيش على هذا المفاعل فقط ولم نستطع دخول مفاعل ديمونة مثلا لأنه غير معلن للوكالة رغم أنه المركز الأساسي لإنتاج الأسلحة النووية. وعليه فإن إسرائيل تحصل على فرص لتطوير نشاطها النووي بعيدا عن أعين الرقابة الدولية بحرية لعدم توقيعها.

وفي المقابل تتم معاقبة إيران كدولة مارقة بسبب توقيعها على الاتفاقية والتي تنضم إليها الدول للاستفادة من مزايا العضوية التي تتعلق بالحصول من الوكالة على برامج مهمة للتعاون النووي وعمليات نقل الوقود النووي وشرائه بجانب الاستفادة من الوضع السياسي للدول الموقعة.

وكانت هناك محاولات دولية لإجبار إسرائيل على التوقيع على المعاهدة لولا تدخل الولايات المتحدة وحلفائها لإفساد القرار باستخدام الفيتو.

وهنا يأتي السؤال عن الدور العربي في مواجهة هذا السلوك الصهيوني، فإذا كانت إسرائيل تمتلك السلاح النووي حتى لو لم تعترف فإن ذلك لا يعني أن يقف العرب مكتوفي الأيدي فالحل لن يأتي بدون موقف صارم وجماعي منهم ضد التعنت والصلف الإسرائيلي.

فلابد أن يغير العرب وكل الدول المعنية بالأمر في المنطقة أسلوب التعاطي مع هذه القضية، ويتخذوا موقفا يوحي بالغضب والتهديد أو حتى التلويح بالخروج من الاتفاقية ردا على عدم توقيع إسرائيل ورفض استجابتها للمجتمع الدولي للضغط على الدول الكبرى المتواطئة مع الكيان الصهيوني والمتسترة على نشاطه النووي. ■

* كاتبة وصحافية

... ودمع لا يكفكف يا دمشق

معن بشور*

سَلامٌ من صبَا بردَى أرَقّ ودَمعٌ لا يُكفكَفُ يا دِمَشق
وللحرية الحمراء باب بكل يد مضرجة يدقّ

نستذكر اليوم هذه الابيات لأمير الشعراء احمد شوقي ونحن نسمع عن قصف صهيوني للعاصمة السورية (دمشق) بحجة الانتصار لفريق سوري ينتمي الى طائفة عرفت تاريخياً بأنها في طليعة من قاوم الصهاينة واحتلالاتهم وحروبهم .

وأذا كان علينا ان نعترف ان هناك انقساماً حاداً داخل المجتمع السوري في ظل الحكم الجديد الذي قام على انقاض حكم كان يتهمه بالاقصاء والتهميش لمجموعات سورية واسعة ، لكن هذا الانقسام لا يبرر أبداً أن يدخل عدو سورية التاريخي وعدو العرب والإسلام على خط الصراع الداخلي منتصراً لفريق ضد الآخر .

وأياً كانت ملاحظاتنا على من يتربع على كرسي السلطة اليوم في دمشق، فلا يمكننا أبداً ان نسكت عن عدوان صهيوني صريح ضد عاصمة عربية لها ما لها في قلوب العرب والمسلمين من مكانة.

المطلوب من كل وطني أو عروبي أو مؤمن في سورية وعلى مستوى الامة ان يعترض على أي تفرد أو تسلط تقوم به المجموعة الحاكمة في سورية، كما كان ذلك من حقه في العهود السابقة، لكن عليه بالمقابل أن يقاوم اليوم كل اعتداء صهيوني أو أجنبي غاشم على سورية أو على أي قطر عربي، لأن لا عدو لبلادنا وشعبنا أكثر خطراً من العدو الصهيوني. والذي تتطلب مقاومته ان يترفع كل أبناء الوطن عن كل صراعاتهم وعصبياتهم الضيقة ويقفوا صفاً واحداً في وجه العدو، وفي مواجهة هذا العدوان الصهيوني على جبل العرب ، وعاصمة العروبة دمشق نجدد دعوتنا الى انه لا حل للمحنة السورية الاّ بقيام مؤتمر وطني تأسيسي يضم كل مكونات الشعب السوري دون تفرد او اقصاء يكون بمستوى مواجهة الأخطار التي تهدد سورية ووحدتها واستقلالها ، بل ووجودها .

□■□

تحية الى شعب المغرب العظيم

■ منذ بدء العدوان الصهيو ـ امريكي على غزة، والحركة الشعبية المتضامنة مع فلسطين في المغرب لا تتوقف عن ابداء تضامنها العالي مع فلسطين في كافة المدن المغربية ، ومن خلال كافة القوى الوطنية والإسلامية في المغرب.

فمن يتابع اخبار المسيرات الضخمة والمستمرة في المغرب واليمن والاردن والعديد من اقطار الامة يشعر أن امتنا موجودة حيث يتلاحم ابناؤها مع ابطال غزة وعموم فلسطين، رغم جهود الأنظمة الحاكمة في معظم دولنا العربية والإسلامية في العمل على حظر المظاهرات والمسيرات التي كانت ستملأ مدننا العربية والإسلامية انتصاراً لصمود غزة وعموم فلسطين، ودعوة للانخراط في سبل الدفاع عنهم.

واهمية مظاهرات المغرب التي ضمت بالأمس الاحد في الرباط مئات الالاف من المغاربة الاحرار دعما لملحمة "طوفان الأقصى" وتأييداً لأهل غزة وشعب فلسطين.

لا تنحصر في المشاركة الشعبية الضخمة فيها، ولا في شعاراتها الواضحة في دعم المقاومة ضد الاحتلال، ولا في الأمانة للقدس التي يفترض ان ملك المغرب هو رئيس "لجنة القدس" التي تم تشكيلها دفاعاً عن الأقصى، بل ايضاً لأن حكومة المغرب هي واحدة من الحكومات التي وقعّت اتفاقيات "السلام الابراهيمي" مع الكيان الصهيوني بكل ما في هذا التوقيع من تطبيع وتخاذل والتنازل عن حقوق الامة.

لذلك لا بد في أجواء هذه المظاهرات التي تتوالى بين الحين والآخر في أكثر من بلد عربي واسلامي، من الإشادة بدور المناضلين المغاربة، لا سيّما في «مجموعة العمل الوطني لمساندة فلسطين» و «الجمعية المغربية لنصرة الكفاح الفلسطيني والمقاومة ومناهضة التطبيع» دون أن ننسى الجهود الكبيرة التي يبذلها احد الرموز الوطنية والقومية والإسلامية البرزى المحامي خالد السفياني رئيس «المؤتمر العربي العام» و «المنسق العام للمؤتمر القومي الإسلامي» الذي يشارك في الاعداد لهذه المسيرات منذ عقود مؤكداً على وحدة الامة وعلى انتصارها لفلسطين. ■

□■□

السفياني: لننتصر لأهلنا في غزة وعموم فلسطين بوجه الحصار والعدوان

■ تضامنا مع أهلنا في غزة المحاصرة وفلسطين المناضلة صدر عن المحامي خالد السفياني والمنسق العام للمؤتمر القومي الاسلامي ولجنة المتابعة في المؤتمر العربي العام الذي يضم المؤتمر القومي الاسلامي، والمؤتمر القومي العربي والمؤتمر العام للاحزاب العربية ومؤسسة القدس الدولية والجبهة العربية المشاركة

وفيما يلي نص البيان:

«إزاء التطورات الخطيرة التي يواجهها أهلنا في غزة وعموم فلسطين لا سيما بعد مرور عشرين شهراً على الحرب الصهيونية على القطاع المجاهد، ومع مرور شهرين على الحصار الكامل المفروض على اهله الابطال، نشعر في الهيئات الشعبية العربية المشاركة في المؤتمر العربي العام بضرورة رفع الصوت عالياً في وجه هذه المجزرة الصهيونية المتمادية بحق اهلنا في غزة وعموم فلسطين، والتي توجتها بهذا الحصار اللا إنساني الذي يؤكد ان المشروع الصهيوني المدعوم اميركياً هو مشروع ابادة جماعية لأهل هذا القطاع الذين اثبتوا خلال هذا العدوان المستمر منذ عشرين شهراً والذي هو امتداد لحروب لم تتوقف ضد هذا القطاع وكل فلسطين بطولات استثنائية،

كما يدعو المؤتمر العربي العام الى اوسع مشاركة في اليوم العالمي «من اجل غزة» الذي سيشهد تحركات تضامنية على امتداد العالم لوقف الحرب والحصار لا سيما من المغرب الذي ستكون المسيرة المليونية فيه غدا الاحد في 20 الجاري احد عناوينه البارزة تعبيراً عن مشاركة شعبنا المغربي في واجبه تجاه شعبنا في غزة وعموم فلسطين.

كما ندعو ابناء الامة العربية والاسلامية وأحرار العالم الى رفع مستوى التحرك حتى وقف المجزرة بحق أهلنا في غزة، وانهاء الحصار اللا إنساني الذي يتعرضون له وهو ما يدعو الى تنسيق عالٍ بين كافة قوى التحرر والانتصار للأنسان والحق الفلسطيني الذي يثبت كل يوم اننا أمام شعب لا يهزم وشعاره الشهادة أو النصر». ■

* الامين العام السابق للمؤتمر القومي العربي

هجوم أميركي غير مسبوق في تاريخ الجمهورية الإسلامية

واشنطن ـ طهران: الصعود نحو الهاوية

لندن: محمد قواص*

لم تشن الولايات المتحدة عمليتها العسكرية ضد إيران من فراغ. سُجل انقلاب في موقف واشنطن لجهة فرض التخصيب الصفري لليورانيوم على إيران قاد إلى انسداد مسار المفاوضات. قبل ذلك كانت واشنطن سمحت بالحرب الإسرائيلية ضد إيران لتحسين شروط التفاوض مع إيران وإجبارها على القبول بالشروط الأميركية. ومع ذلك فإن تدخل الولايات المتحدة العسكري كان موضعيا لم يهدف إلى الانخراط في الحرب، بل تعديل شروط التفاوض وفرض أمر واقع جديد. غير أن تلويح واشنطن بتغيير النظام في إيران كان تطوّرا نوعياً جديدا وسابقة في تاريخ العلاقات الأميركية الإيرانية.

كيف فوجئت إيران بالحرب؟

على الرغم من تدافع المعطيات والأنباء والأعراض عن استعداد إسرائيل لشنّ ضربة "وشيكة" على إيران، أظهرت التطوّرات لاحقا أن طهران لم تجد هذه التهديدات جدية واعلنت أنها تهويلية فقط عشية جلسة مفاوضات جديدة. أظهرت الخسائر، لا سيما على مستوى قادة إيران، أن طهران تفاجأت من جدية وحجم الهجوم وفق تسلسل في التصعيد والصدام.

فجر 13 حزيران (يونيو) 2025، شنّت إسرائيل موجات من القصف الجوي على أهداف شاملة في إيران. أعلنت إسرائيل أنها ضربات افتتاحية بدا أنها تهدف إلى إضعاف الهيكل القيادي العسكري الإيراني، وتقويض قدرة إيران على الرد، وتدمير وإعادة تدمير المواقع النووية والصاروخية. فقد استهدفت الغارات مواقع للدفاع الجوي وقواعد عسكرية ورادارات ومبانٍ سكنية. وشهدت طهران انفجارات مدمرة في أحياء مكتظة بالسكان. وقد استخدمت القنابل الدقيقة والطائرات المسيرة في قتل عدد من كبار القادة العسكريين إلى جانب مسؤولين سياسيين وشخصيات مرتبطة بالبرنامج النووي الإيراني.

كانت غالبية المباني المستهدفة مبان سكنية في مناطق راقية من العاصمة. فيما أفادت وسائل الإعلام الرسمية الإيرانية بمقتل القائد العام للحرس الثوري الإيراني حسين سلامي، وقائد مقر خاتم الأنبياء التابع للحرس الثوري غلام علي رشيد، ورئيس هيئة الأركان العامة للقوات المسلحة الإيرانية محمد باقري، فيما لم يتأكد مصير علي شمخاني، الأمين السابق للمجلس الأعلى للأمن القومي بعد استهداف منزله.

أربكت الغارات القيادة الإيرانية، لكن طهران سارعت إلى تعيين البدائل، قال المرشد الأعلى آية الله علي خامنئي إن "الكيان الصهيوني ارتكب جريمة في بلادنا العزيزة بأيديه الشيطانية الملطخة بالدماء. وقد كشف عن طبيعته الخبيثة أكثر من أي وقت مضى من خلال استهداف المناطق السكنية". وحذّر من "عقوبة قاسية بالذراع القوي" للقوات المسلحة الإيرانية، معترفاً بأن «عدة قادة وعلماء قد استشهدوا»، مضيفاً أن «خلفاءهم وزملاءهم سيواصلون أداء واجباتهم دون تأخير».

هل هي خديعة؟

لفت المراقبون أن الضربة الإسرائيلية لا تقتصر على البرنامج النووي ومنشآته، بل أن أهدافها تصيب عصب نظام الجمهورية الإسلامية من خلال استهداف قائد الحرس الثوري وقادة أركان الهيكل العسكري الإيراني. لاحظو أن الضربات لم تستهدف واجهات قيادية سياسية عليا، لا سيما المرشد علي خامنئي. وعللوا ذلك بأن واشنطن تحتاج لقرارات جديدة تصدر عن القيادة يرعاها المرشد تأخذ بالاعتبار موازين القوى المستجدة.

اعترفت مصادر إيرانية مراقبة إن طهران قد فوجئت بالهجوم الإسرائيلي وأنها لم تتخذ إجراءات لحماية قادتها العسكريين اقتناعا بعدم وجود ضربة إسرائيلية. لم تفعل شيئا رغم الانباء التي صدرت من واشنطن عن تحضيرات إسرائيلية محتملة وحديث الرئيس الأميركي دونالد ترامب نفسه عن احتمالات ضربة إسرائيلية «وشيكة». لكن إيران وضعت الأمر في إطار تهويلي فقط.

تضيف المصادر أن إحدى الخدع التي وقعت فيها طهران هو إعلان موعد للجلسة السادسة للمفاوضات الأميركية التي تقرر أن تكون في مسقط في 15 حزيران (يونيو) 2025.

سيناريو التدخل الأميركي العسكري. لكن الخديعة الأكبر جرت حين نفذت الولايات المتحدة ضربات ضد منشآت نووية استراتيجية إيرانية ما اعتبر أعلى درجات التصعيد الذي تفرضه واشنطن على طهران منذ بداية السجال بين العاصمتين بشأن البرنامج النووي الإيراني خلال عقود. وهدد الحدث بتوسيع نطاق الحرب والذهاب بها إلى أهداف مستجدة كان من أخطرها تلويح الرئيس الأميركي بإمكانية تغيير نظام الجمهورية الإسلامية.

في 21 حزيران (يونيو) 2025، أعلن الرئيس الأميركي دونالد ترامب عن قيام قاذفات أميركية برمي حمولة من قنابل GBU-57 المعروفة باسم «أم القنابل» على منشآت فوردو ونطنز النوويتين في إيران، كما استُهدفت في وقت متزامن صواريخ توماهوك أطلقتها غواصات في المحيط الهادي منشأتي نطنز وأصفهان النوويتين. اعتبر ترامب العملية «ناجحة جدا» الاسم الرسمي للاتفاق النووي الذي أُبرم في فيينا عام 2015، لإيران بنسبة تخصيب لليورانيوم لا تتجاوز 3.67بالمئة. وبعد انسحاب ترامب من هذا الاتفاق بداعي أنه "اتفاق سيء"، وفق تقويمه، عام 2018، رفعت إيران بشكل متدرّج نسب التخصيب وأنتجت كميات من اليورانيوم المخصّب بنسبة 20 بالمئة ثم 60 بالمئة ووجد مفتشو الوكالة الدولية للطاقة الذرية آثار تخصيب بنسبة 83 بالمئة رفضت طهران إعطاء تفسير لها.

ويُعتقد أن انسداد أُفق المفاوضات شجع الرئيس الأميركي على القبول بخطة لرئيس الوزراء الإسرائيلي بنيامين نتنياهو باستخدام القوة العسكرية ضد البرنامج النووي. وقد بدأت الهجمات الإسرائيلية بعد أيام على مكالمة هاتفية جرت بين ترامب ونتنياهو، وسط تأييد ودعم سياسي وعسكري من الإدارة الأميركية في واشنطن. وقد تطلّبت العملية العسكرية لاحقا،

حزب الله متشكك من نزع سلاح المخيمات

محذرا إيران من «مأساة» في حال عمدت إلى الردّ على مصالح ومواقع أميركية في الشرق الأوسط.

تطوّر المسار العسكري للولايات المتحدة بعد أن عقد وفدان من واشنطن وطهران مفاوضات غير مباشرة على مدى خمس جلسات. وفيما أشاع الطرفان تقدما بطيئا في المفاوضات و "إيجابية بناءة"، وفق ما كان رئيس الوفد الإيراني عباس عراقجي يردد، تبدّل الموقف الأميركي من التلميح بالسماح لإيران بتخصيب اليورانيوم بنسبة منخفضة (أقل من 4 بالمئة)، إلى عدم السماح لإيران بأي تخصيب لليورانيوم على أراضيها. وقد أكد وكرر الرئيس الأميركي دونالد ترامب هذا الموقف واعتبره نهائيا. بالمقابل أعلن المرشد علي خامنئي وكافة المسؤولين الإيرانيين تمسكهم بالسيادة على عمليات التخصيب وعدم التخلي عن هذا الشرط.

تسمح «خطة العمل المشتركة الشاملة»، وهي وفق ما كان نتنياهو يردد، تدخّل الولايات المتحدة لتدمير البرنامج النووي.

مسار الضربة الأميركية

تمسك الرئيس الأميركي بسردية مفادها النقاط التالية:

- المعركة تجري بين إيران وإسرائيل ولا علاقة للولايات المتحدة بها.
- قدّم نفسه وسيطا بين البلدين، وقادرا على وقف الحرب الإسرائيلية ضد إيران.
- طالب بعودة إيران إلى التفاوض.
- طالب بقبول إيران باقتناء برنامج نووي لأغراض مدنية لا جوانب عسكرية له.
- طالب تقديم طهران ضمانات أهمها التوقف التام عن تخصيب اليورانيوم.

انتقل ترامب لاحقا إلى التلويح بأنه يفكّر في الانضمام إلى الحرب ضد إيران وقرب الاستعداد لها قبل أن يفاجئ الرأي العام الأميركي والدولي في 19 حزيران (يونيو) بالإعلان أنه «نظرا لوجود فرصة كبيرة لإجراء مفاوضات، قد تحدث أو لا تحدث، مع إيران في المستقبل القريب، سأتخذ قراري بشأن الذهاب (إلى الحرب) من عدمه خلال الأسبوعين المقبلين».

وقد تمّ تنفيذ الضربة الأميركية بالاستفادة من مناورات خادعة أهمها:

- مناورة ترامب بشأن "هدنة" الأسبوعين.
- الإيحاء بأنشطة عسكرية محتملة مصدرها جزيرة دييغو غارسيا البريطانية في المحيط الهندي.
- الإعلان عن نقل قاذفتين من طراز B2 نحو الغرب وتُرك لأجهزة الرادار رصدها، فيما توجهت 7 قاذفات من هذا الطراز شرقا بشكل سري بعدما أُطفئت كافة مجسات التعقب من قاعدة وايتمان الجوية الأميركية في ميزوري الأميركية باتجاه إيران عبر أجواء المحيط الأطلسي في رحلة استمرت 18 ساعة.

قالت مصادر البنتاغون والبيت الأبيض إن العملية دمرت تماما المنشآت النووية الثلاث وسط غياب لأية جهة محايدة للتأكد من حجم الأضرار التي تسببت بها الغارات الأميركية. وقد أظهرت صورا للأقمار الصناعية ثقوبا في سطح منشأة فوردو اعتبرها خبراء عسكريون غربيون نجاحا للضربة العسكرية بسبب عدم حدوث انفجار في الخارج، ما يؤكد أن عملية اختراق قد حصلت وأن الانفجار قد حصل على عمق 60 ـ 80 مترا وفق تقديرات الخبراء العسكريين.

سردية واشنطن السياسية

اعتمد الخطاب السياسي على المحددات التالية:

- أكد ترامب أن لا حرب بين الولايات المتحدة وإيران
- الضربة واحدة موضعية ولن تليها ضربات أخرى.
- دعوة إيران من جديد للعودة إلى التفاوض و "إقامة السلام".
- كرر أركان الإدارة هذه المقاربة لا سيما على لسان نائب الرئيس.
- أكد وزير الدفاع أن الهدف هو البرنامج النووي فقط ومنع إيران من امتلاك قنبلة نووية، وأن لا خطط لدى واشنطن لاسقاط النظام في إيران.

يؤكد هذا الخطاب على محددات أهمها:

- عودة مسار الحرب إلى أصله، أي أن الحرب إسرائيلية إيرانية وعادت لتكون كذلك.
- بعث رسالة واضحة إلى إسرائيل وبنيامين نتنياهو بأن المهمة أُنجزت بالنسبة للولايات المتحدة وفعلت ما هو مطلوب باستهداف منشأة فوردو المنشأتين الأخريين.
- يستبطن الخطاب الأميركي شراكة كاملة «

بين الولايات المتحدة وإسرائيل لإغلاق هذا الملف منذ بدء العمليات الإسرائيلية ضد إسرائيل.

○ تعويل ترامب على إعادة إيران إلى طاولة المفاوضات والإيحاء بإمكانية أن تلعب دول وسيطة مثل روسيا وأوروبا ودول المنطقة أدوارا في الضغط من أجل ذلك.

ورغم أن إيران تمهّلت في تنفيذ ردّ مباشر ضد الولايات المتحدة، واكتفت بالردّ ضد إسرائيل بصفتها "أكبر قاعدة أميركية في المنطقة"، وفق موقف للحرس الثوري، قبل أن ترد على القاعدة الأميركية في العديد في قطر، ورغم تحرّك طهران بأدوات سياسية باستخدام دعوات "مجلس الشورى" لإقفال مضيق هرمز، ودعوة مجلس الأمن الدولي للانعقاد، والتهديد بالانسحاب من "معاهدة الحدّ من انتشار الأسلحة النووية" وطرد أي رقابة للوكالة الدولية للطاقة الذرية، غير أن ترامب استبق رفض إيران دعواته للعودة إلى طاولة المفاوضات وإمكانية قيامها بردّ حتى من قبل أذرعها في المنطقة ضد مصالح أميركية، من خلال التلويح بورقة تغيير النظام في إيران. وقد كتب في منشور على منصته تروث سوشيال في 22 حزيران (يونيو): «ليس من الصواب سياسيا استخدام مصطلح تغيير النظام، لكن إن لم يكن النظام الإيراني الحالي قادرا على جعل إيران عظيمة مرة أخرى فلم لا يكون هناك تغيير للنظام؟».

هل انتهت وظيفة إيران؟

تشتبه إيران بحصول تغيير عميق في النظام الدولي. دليل طهران أن ذلك النظام يستغني عن دور ووظيفة الجمهورية الإسلامية منذ قيامها عام 1979. ودّعت إيران نظام «الحرب الباردة» الذي أتاح لنظامها العبور إلى السلطة، وتعايشت في كرّ وفر مع نظام جديد قادته الولايات المتحدة، فناكفته تارة، وتماهت معه تارة أخرى، وقدمت خدمات من أجله طورا. استخدمت إيران السُبل التي نجحت دائما، وهي تستنتج أن سُبلها نفسها صارت متقادمة عصيّة على أي نجاح.

تقدمت إيران بـ «ثورتها» عام 1979 واعدة بتصديرها إلى المنطقة في وقت كان صراع الغرب ضد الشرق على أشده لا سيما ضد الاتحاد السوفياتي. لاحقا لم تكن العواصم الغربية تجد في حكم الملالي في طهران خطرا في وقت كان الساسة الغربيون يحجّون إلى أفغانستان في أيام الاحتلال السوفياتي لالتقاط الصور مع «المجاهدين». وحين توسّع حضور تلك «الثورة» في لبنان واحتاج رسوخها إلى تفجير السفارة الأميركية ومقري المارينز والوحدة الفرنسية عام 1983، حمل هذا الغرب جنوده وانسحب أمام التقدم الإيراني.

استفادت إيران من لحظة تاريخية كتلك اللحظة التي وفّرت ظروف ولادة نظامها الإسلامي. باتت طهران في مناخات ما بعد «غزوة نيويورك» في 11 أيلول (سبتمبر) 2001، حاجة ضرورية

نواف سلام.. سلاح المخيمات قد يتحول لسلاح فتنة

للولايات المتحدة الجريحة. وجد منظرو المحافظين الجدد المحيطين بالرئيس جورج دبليو بوش في إيران عنوانا واحدا للتحالف مع الشيعية السياسية ضد تلك السنيّة السياسية التي ارتكبت جريمة نيويورك. لم يرمش لطهران جفن في التقاط تلك اللحظة متطوّعة بالعون الكامل لإسقاط نظام طالبان في أفغانستان (2001) ونظام صدام حسين في العراق (2003).

من يراقب ردود الفعل الحديثة الصادرة عن طهران يستنتج ذهولا من «خيانة» ذلك الغرب لوظيفة إيرانية حظيت دائما بصمت يوحي بالرضا. والأرجح أن العالم قد تغيّر بعد حرب أوكرانيا و «طوفان الأقصى» وتطوّر التناقض مع الصين وعودة الترامبية بنسخة محدثة. لم تعد قواعد العلاقات الدولية تجد للنظام الإيراني وظيفة ودورا ملائمين وإن لمّحت تلك القواعد بتمديد صلاحية ذلك النظام بـ "تغيير سلوكه". تستنتج طهران تلك الحقيقة بارتباك بعدما داهمتها أثناء الحرب الأخيرة مواقف الصين وروسيا المتماهية تماما مع قواعد العالم الجديدة.

من يتأمل مواقف طهران إثر تلك الحرب، وتخبط أعذارها لتأخير العودة إلى التفاوض، والترويج لقطيعة مع الوكالة الدولية للطاقة الذرية والالتزامات المحيطة بها، وفقدان رشاقة التعامل مع الواقع الجديد، يستشعر اقتناعا في إيران بأن هذا العالم يستغني عن وظيفتها في النظام الدولي وأن إسقاط النظام أو ما يشبه ذلك قد يكون قرارا قد اتّخذ فعلا قد تظهر أعراضه الحادة بعد أجل. وكما أن هناك لحظة تاريخية للولادة هناك لحظة أخرى للاندثار حتى لو جاء بطيئا.

الرد الإيراني

سلط قصف إيران لقاعدة أميركية في قطر المجهر على ظروف اختيار طهران لدولة خليجية صديقة مسرحا لردّها على الولايات المتحدة (بعد قصف ثلاث منشآت إيرانية نووية)، على الرغم من وجود عشرات الأهداف الأخرى في المنطقة. ويعيد الحدث إيران إلى مربعها الأول خطرا استراتيجيا دائما على أمن دول الخليج.

ففي 23 حزيران (يونيو) 2025، أعلنت إيران أنها شنّت هجوما على القوات الأمريكية في قاعدة العديد الجوية في قطر. وجاء الهجوم بعد وقت قصير من إغلاق قطر لمجالها الجوي كإجراء احترازي، ما كشف لاحقا عن إبلاغ طهران الدوحة وواشنطن مسبقا بالهجوم. قال المتحدث باسم وزارة الخارجية القطرية ماجد الأنصاري: "نعرب عن إدانة دولة قطر الشديدة للهجوم الذي استهدف قاعدة العديد الجوية من قبل الحرس الثوري الإيراني، ونعتبره انتهاكا صارخا لسيادة دولة قطر ومجالها الجوي، وللقانون الدولي وميثاق الأمم المتحدة". وأكدت قطر احتفاظها بحق الرد بما يتوافق مع القانون الدولي.

لاحظ المراقبون أن البيان الرسمي القطري اتّهم «الحرس الثوري» بالقيام بعملية ولم يحمّل إيران الدولة المسؤولية (استخدمت الإمارات أيضا نفس صيغة الاتهام). وفي 24 حزيران (يونيو) أفاد الديوان الأميري القطري بتلقي أمير قطر الشيخ تميم بن حمد آل ثاني، اتصالاً هاتفياً من الرئيس الأميركي دونالد ترامب الذي أكد على "تضامن بلاده ووقوفها مع دولة قطر، وإدانتها الشديدة الهجوم الإيراني على قاعدة العديد الجوية"، داعياً أمير قطر إلى «ضبط النفس واللجوء إلى الحلول الدبلوماسية».

غضب الخليج

دانت السعودية واستنكرت «بأشد العبارات العدوان الذي شنته إيران على دولة قطر الشقيقة والذي يعد انتهاكا صارخا للقانون الدولي ومبادئ حسن الجوار»، معتبرة أنه «أمر مرفوض ولا يمكر تبريره بأي حال من الأحوال». ودانت الإمارات "بأشد العبارات استهداف الحرس الثوري الإيراني لقاعدة العديد الجوية في دولة قطر الشقيقة"، معتبرة ذلك "انتهاكا صارخا لسيادة دولة قطر ومجالها الجوي". أعربت الكويت عن إدانتها واستنكارها الشديدين للهجمات «في انتهاك صارخ للسيادة القطرية ومجالها الجوي، وللقانون الدولي وميثاق الأمم المتحدة، وبما يعتبر تصعيدا خطيرا يهدد السلم والأمن والاستقرار في المنطقة". واعتبرت سلطنة عُمان أن "القصف الصاروخي الإيراني الأخير لمواقع سيادية في دولة قطر الشقيقة، عمل مرفوض ومدان ينتهك سيادة دولة شقيقة من دول مجلس التعاون لدول الخليج العربية، ويتنافى مع سياسة حسن الجوار».

وأعرب الرئيس الإيراني مسعود بزشكيان في اتصال هاتفي مع أمير دولة قطر عن أسفه للهجوم، مؤكدا أنه لم يكن يستهدف قطر وشعبها، وفقا لبيان للديوان الأميري القطري. وقال البيان إن أمير قطر جدد ـ خلال الاتصال ـ إدانة بلاده الشديدة للهجوم باعتباره انتهاكا صارخا للسيادة ويتنافى تماما مع مبدأ حسن الجوار والعلاقات الوثيقة التي تجمع البلدين. ■

* صحافي وكاتب سياسي

تعتبر جزءًا حيويًا من جغرافيا الجنوب السوري

دور السويداء في مستقبل النظام السوري الجديد

بيروت: محمد المشنوق*

مع الاشتباكات التي حصلت في السويداء وهي مدينة في الجنوب السوري تحولت إلى هدف يتعلق بدروز سوريا ودورهم في المستقبل السوري مع تدخل اسرائيل بقصف مراكز عسكرية في دمشق لتؤكد أنها ستحمي السويداء بينما تمكن النظام السوري من وقف القتال الدائر بين عشائر سنيّة وبين دروز المدينة وسط تدخل محلي وعربي ودولي لمنع تدهور يهدد وحدة سوريا بعد سقوط نظام الاسد.

ان مدينة السويداء ليست مجرد مدينة سورية بسيطة، بل تُعد نقطة ارتكاز في مشروع جغرافي ـ سياسي واسع يعرف باسم "ممر داوود"وهو ممر استراتيجي تسعى «إسرائيل» إلى تكوينه، يبدأ من الجولان السوري المحتل، مرورًا بدرعا والسويداء، وصولًا إلى منطقة التنف حيث توجد القاعدة الأميركية.

يمتد هذا الممر شرقًا إلى المناطق الكردية التابعة لحليفة واشنطن، ثم يعبر إلى أربيل في العراق ويلامس الحدود التركية. يتراوح طوله مئات الكيلومترات، ليكون حلقة وصل بين إسرائيل والخليج وآسيا الوسطى، مما يفتح لها بوابة جديدة نحو أوروبا.

تتجلى أهمية هذا الممر في قدرته المحتملة على تقليل اعتماد "إسرائيل" على قناة السويس، بالإضافة إلى تهديده لطريق الحرير الصيني. يمكن أن يحوّل «ممر داوود» إسرائيل إلى حلقة مركزية وجزء من ترتيبات ما بعد التطبيع، حيث تمر البضائع من الخليج إلى الموانئ الإسرائيلية، لتُشحن بعد ذلك إلى أوروبا سواء برًا أو بحرًا.

وهي تمثل آخر عقدة ديمغرافية وجغرافية قبل الوصول إلى التنف، وتشكل السويداء حزامًا فاصلاً بين الجنوب السوري والمناطق الشرقية، حيث الوجود الأمريكي والكردي.

يكمن التحدي في وجود المكون السني بالقرب من هذا الممر، مما يُعتبر في اسرائيل بمثابة عامل قلق دائم في العقيدة الأمنية الإسرائيلية، وهو جزء من مشروع جيوسياسي ضخم، يُراد له أن يُعيد رسم خرائط التجارة والطاقة والنفوذ في المنطقة.

الأهمية الاستراتيجية لمحافظة السويداء

تقع محافظة السويداء، المعروفة أيضًا باسم «قلعة الجبل»، في أقصى جنوب سوريا، وتُعتبر الآن عقدة إقليمية تثير اهتمام القوى الإقليمية والدولية. فتعزيز الاحتلال الإسرائيلي للجولان السوري والوجود العسكري الأمريكي في التنف يزيد من أهمية هذه المنطقة. ويُعتبر الصراع على النفوذ في السويداء جزءًا من صراع أوسع يسعى لتحديد ملامح المنطقة بعد سنوات من الحرب الأهلية السورية.

كانت السويداء تُعرف بموقفها المحايد خلال الصراع، لكن مع تصاعد التوترات الإقليمية، أصبحت معنية بشكل مباشر فيما يجري من أحداث. المطالب النابعة من المجتمعات المحلية في السويداء ومحاولاتها للحفاظ على هويتها الثقافية والدينية تجعلها مرتبطة بمصير مناطق أخرى في الجنوب السوري، مما يعطيها أهمية استراتيجية في المشهد السوري المتقلب.

تعتبر السويداء منطقة استراتيجية كونها محاطة بأراضٍ ذات أهمية جغرافية، فهي قريبة من الجولان المحتل من جهة ومن الحدود الأردنية من جهة أخرى. هذا الموقع يجعل من السويداء بؤرة صراع داخلي ليصل إلى مستويات إقليمية ودولية تعكس التحولات الجيوسياسية.

تمتلك السويداء تاريخًا طويلًا من المقاومة والتحدي ضد أي شكل من أشكال الهيمنة، مما يجعلها جغرافيا حيوية لمواجهة أي تهديدات إقليمية. تاريخ الثورة السورية في السويداء، الذي تجلى في مواقف سكانها، يبرز ضرورة »

المحافظة على الهوية والحرية في وجه التدخلات الخارجية.

بفضل موقعها الاستراتيجي ودورها التاريخي، أصبحت محافظة السويداء «قلعة الجبل الدرزي» نقطة محورية تُعبر عن تداخل المصالح الإقليمية والدولية. في خضم التوترات.

وفي تغطية موسعة للأحداث الجارية في سوريا، سلطت شبكة «سي إن إن» الأمريكية الضوء على تصاعد التوتر في محافظة السويداء، ذات الغالبية الدرزية، بعد اندلاع اشتباكات دامية بين مجموعات درزية وقبائل بدوية. هذه الاشتباكات أعقبت تدخل الجيش السوري وقيام إسرائيل بشن غارات جوية، بادعاء حماية الدروز.

وبحسب التقرير الذي نشرته «سي إن إن»، اندلعت اشتباكات عنيفة في مدينة السويداء، حيث تبادل أعضاء من المجموعات الدرزية المسلحين الاشتباك مع قبائل بدوية، مما أسفر عن مقتل ما لا يقل عن 30 شخصًا وإصابة المئات. في رد فعل سريع، تدخلت القوات السورية لاحتواء الوضع المتأزم، مما زاد من حدة التوتر وجعل إسرائيل تستجيب بشن غارات جوية على مواقع للجيش السوري، مُعلنةً أن هذه العمليات تأتي لحماية الدروز في المنطقة.

كما انضمت قوات إسلامية متحالفة مع الحكومة السورية إلى القتال، مما أثار قلقًا كبيراً بين المجتمعات الدرزية، التي بدأت تطالب بضرورة توفير حماية دولية لمواجهة التصعيد.

وقد شنت إسرائيل، التي تعهدت بحماية الدروز في سوريا، ضربات جديدة ضد قوات الحكومة السورية في اتجاه السويداء ودمشق. وقد أكدت تل أبيب عزمها على مواصلة هذه الهجمات لضمان حماية مجموعة الدروز.

وفي بيان للوزارة الخارجية السورية، أُفيد بمقتل عدد من المدنيين وأفراد قوات الأمن جراء هذه الضربات، لكن لم يتم تقديم أرقام دقيقة حول الضحايا. وقد أدانت الوزارة الهجمات الإسرائيلية، ووصفتها بأنها «انتهاك صارخ لسيادة الجمهورية العربية السورية»، و«مثال مستهجن على العدوان المستمر والتدخل الأجنبي في الشؤون الداخلية للدول ذات السيادة». وفي حديث سابق، أعلن الجيش الإسرائيلي أنه استهدف «مركبات عسكرية تابعة لقوات النظام السوري في منطقة السويداء جنوب سوريا».

والملاحظ انه ورغم الضغوط التي مارسها المسؤولون الأمريكيون على تل أبيب لوقف الهجمات على الأراضي السورية، فقد خرج وزير دفاع الاحتلال الإسرائيلي، يسرائيل كاتس، ليؤكد أنه إذا لم تنسحب القوات الحكومية من المنطقة، فسيقوم الجيش بتكثيف هجماته على قوات النظام في السويداء.

ووفقًا لتقرير شبكة (سي أن أن)، يُعتبر الدروز طائفة عربية يبلغ تعدادها نحو مليون نسمة، يعيش معظمهم في سوريا ولبنان وإسرائيل.

وتُشكل الطائفة الدرزية أغلبية في محافظة السويداء، التي تمثل معقلًا تاريخيًا وثقافيًا لهم، وقد واجه الدروز خلال العقد الماضي تحديات كبيرة بسبب صراعهم بين قوات النظام السوري والجماعات المتطرفة خلال الحرب الأهلية السورية التي استمرت لمدة عشر سنوات.

وتكتنز المحافظة معالم تاريخية وآثارًا تعود إلى العصور الحجرية، وتشتهر بلقب «روما الصغيرة» بسبب انتشار الآثار الرومانية والنبطية والبيزنطية واليونانية في مدنها وقراها، مثل «شهبا» و«صلخد».

وقد شهدت المحافظة احتشاد مئات المحتجين في جنوب سوريا، مطالبين بتنحي الرئيس بشار الأسد، بعد أسبوعين من المظاهرات التي نددت بالوضع المعيشي المتدهور والتي تطورت لاحقًا إلى دعوات للتغيير السياسي.

تتميز السويداء بارتفاعها الذي يبلغ 1020 مترًا فوق سطح البحر، حيث تمتد على مساحة 5550 كيلومترًا مربعًا، بطول 120 كيلومترًا من الشمال إلى الجنوب و66 كيلومترًا من الشرق إلى الغرب. تتكون المحافظة من كتلة مركزية عالية، تتواجد فيها مخاريط بركانية مغطاة بتربة زراعية خصبة.

في التاريخ الحديث، لعبت محافظة السويداء أدوارًا هامة في الأحداث العامة، حيث برز منها سلطان باشا الأطرش الذي قاد الثورة السورية الكبرى ضد الانتداب الفرنسي انطلاقًا من السويداء عام 1925، وخاصة خلال «معركة المزرعة» الشهيرة. تمسك الثوار آنذاك بمبادئ الاستقلال والوحدة الوطنية، وتحول الأطرش إلى رمز وطني جامع حتى وفاته عام 1982.

تعتبر السويداء جزءًا حيويًا من جغرافيا الجنوب السوري، حيث تمثل قلبًا يتداخل فيه التاريخ والجغرافيا والثقافة، وتظل محافظة فريدة تعكس تعقيدات الواقع السوري المتشابك.

تُعرف محافظة السويداء محليًا بـ«فنزويلا الصغرى»، وذلك بسبب الحملات الكثيرة للهجرة إلى فنزويلا التي شهدتها خلال القرن الماضي، حيث يروي المؤرخون أن نصف سكانها كانوا يحملون الجنسيتين السورية والفنزويلية بحلول منتصف القرن الماضي. يتكون سكان السويداء من أكثر من 95% من الدروز، بينما توجد أقليتان صغيرتان من المسيحيين الأرثوذكس والعرب السنة.

التعداد السكاني للدروز

على الرغم من عدم وجود إحصاءات دقيقة وشاملة لتعداد الدروز في سوريا، فإنهم يحافظون على وجود تاريخي في مناطق أخرى غير السويداء، مثل مدن جرمانا وصحنايا وأشرفية صحنايا في ريف دمشق، بالإضافة إلى نسبة ضئيلة في بعض قرى إدلب والجولان. تُقدر أعداد الدروز في سوريابين 700 ألف ومليون نسمة، مما يبرز دورهم كمكون رئيسي في النسيج المجتمعي السوري.

تعتبر السويداء بمثابة متحف تاريخي مفتوح للزوار، حيث تحتوي على دلائل واكتشافات أثرية تشير إلى سكن البشر في المنطقة منذ العصور السالفة. تضم السويداء كهوفًا ومغاور كثيرة تدعم هذه الفرضيات، وقد لعبت المنطقة دورًا بارزًا في العهود البيزنطية والرومانية والنبطية والعربية وغيرها. وبفضل تاريخها الغني، تحتفظ السويداء بالكثير من المواقع الأثرية، بما في ذلك المعابد والقصور والأعمدة والكنائس والمسارح فضلاً عن البوابات والخزانات وقنوات المياه .

من بين أهم المواقع التاريخية في المحافظة، نجد شهبا وقنوات وصلخد وعتيل وسليم وبريكة وشقة وداما وعرمان وملح وخزامة وتعلا.

تُبرز محافظة السويداء كمنطقة شديدة التعقيد سياسيًا وهوياتيًا، خاصة في ظل التحولات الجذرية التي يشهدها المشهد السوري بعد سقوط نظام الأسد وتأسيس حكومة انتقالية جديدة.

يعتمد هذا التحليل على مقاربة متعددة الأبعاد تشمل الانقسام الداخلي الحاد في المجتمع الدرزي، والتنافر بين مشاريع الحكم الذاتي والمركزية الدستورية الجديدة، والانهيار الاقتصادي الحالي.

خلال الحقبة العثمانية، تمكن الدروز من الحصول على قدر من الاستقلال الفعلي في جبل العرب، حيث عبروا عن ممانعتهم للسلطة المركزية من خلال ثورات محلية متكررة، تجسدت أبرزها في الثورة السورية الكبرى (1925_1927) التي قادها سلطان الأطرش من السويداء، وامتدت لتشمل معظم البلاد.

هناك علاقات متقلبة بين دروز لبنان والسويداء. ولكن القيادة الدرزية اللبنانية كما يقول السياسي المخضرم وليد جنبلاط تسعى لتكريس الدور الدرزي في النظام السوري الجديد ضمن إطار وحدة سورية شاملة لكل المكونات في كل المناطق. ■

* صحافي - وزير لبناني سابق

مشروع «ممر داوود»

■ مشروع «ممر داوود» يعكس تطلعات استعمارية قديمة وهو جزء من الاستراتيجية الصهيونية التي تعود جذورها إلى منتصف القرن الماضي. بدأت ملامح هذا المشروع في العام 1955 عندما طرح برنارد لويس مفهوم "الشرق الأوسط الجديد"، وتطويره في العام 1979، ليحظى باهتمام الكونغرس الأميركي في جلسة سرية عام 1983. وتتضمن فكرة لويس تقسيم منطقة الشرق الأوسط على أسس عرقية ودينية وطائفية تمهيدًا للهيمنة عليها، وهو ما أضاف إليه الباحث الصهيوني عود نيون لمسته في العام 1982. لاحقًا، أدخل رئيس الوزراء الإسرائيلي الأسبق شمعون بيريز تعديلات على هذا المشروع في عام 1992، معتمدًا على الاقتصاد كمحرك أساسي لتحقيق أهدافه، حيث نشر ذلك في كتابه "الشرق الأوسط الجديد".

يهدف «ممر داوود» إلى أن يكون مكملاً لـ"الممر الهندي_الأوروبي"، ويشمل دولًا مثل مصر وسوريا والعراق. يسعى المشروع إلى تقليل الاعتماد على قناة السويس ومضيق هرمز، ويتجه نحو عزل إيران وأي جهات معارضة لإسرائيل والمصالح الغربية. لتحقيق هذه الأهداف، بدأت إسرائيل خطة لتحريض الصراعات الطائفية في منطقة السويداء، مدعيةً أنها تسعى لحماية الدروز، مما يظهر استغلال القضية الإنسانية لأغراض استعمارية.

تستمر المشكلات الدينية والطائفية والإثنية كعوامل توتر في الإقليم، وهي نتيجة لافتقارها إلى الحلول السلمية. تعتبر استراتيجية تفتيت المنطقة وسيلة لتحقيق الهيمنة الإسرائيلية، مما يجعلها دولة مركزية تسود اقتصادياً وعسكرياً. هذا الاتجاه تعزز في قمة دول الـG20 في الهند عام 2023، حيث تم الربط بين الهند وأوروبا عبر إسرائيل ودول عربية أخرى، مما يشكل دعمًا لفكرتي «ممر داوود» و«الممر الهندي - الأوروبي».

تتجلى أهمية هذا الربط كمشروع بديل لمبادرة «الحزام والطريق الصينية»، ويسعى لتقويض النفوذ الصيني وإعاقة تحالفه مع روسيا. وكذلك، يُستخدم المشروع كوسيلة لعزل القوى والحركات غير المتوافقة مع المحور الغربي - الإسرائيلي من خلال استراتيجيات تطويق اقتصادي وقمع عسكري.

قد يتخذ «ممر داوود» أبعادًا إضافية بتقسيم سوريا والعراق إلى كانتونات إثنية وطائفية، مما يضمن أن تصبح كل مجموعة أقلية على حدة. يشير هذا التصميم إلى مقولات هنري كيسينجر عن بناء إمارات صغيرة حول منابع النفط لتعزيز الهيمنة الإسرائيلية. يسعى المشروع بالتالي إلى إسدال الستار على ما يُعرف بالصراع العربي–الصهيوني الذي استمر لأكثر من قرن، وتمت زيادته بعد إنشاء دولة إسرائيل في عام 1948.

هذا الصراع يتجلى بشكل أوضح في ظل اختلال موازين القوى وحالة الضعف التي تعيشها الدول العربية، حيث يتزامن ذلك مع غياب الحد الأدنى من التضامن. في ظل الانقسامات الدينية والمذهبية والطائفية، تصبح الأوضاع أكثر تعقيدًا. يرتبط "ممر داوود" بالأدبيات التوراتية، كجزء من الحلم الصهيوني بإقامة «دولة إسرائيل الكبرى» التي تمتد حدودها من الجولان السوري المحتل، مرورًا بالقنيطرة ودرعا وجبل حوران، وتتجه نحو البادية السورية باتجاه التنف عند الحدود السورية ـ الأردنية ـ العراقية، وصولًا إلى منطقة كردستان في العراق حتى ملامسة الحدود التركية.

تأسيس هذا "الممر" يعني استغناء إسرائيل عن قناة السويس وطريق الحرير الصيني، فيصبح طريقًا لنقل البضائع من الخليج وآسيا الوسطى إلى أوروبا. وبالتالي، يصبح "ممر داوود" نقطة استراتيجية مهمة في السياسة الإسرائيلية. لذلك، تسعى إسرائيل للتطبيع مع الدول العربية بسرعة وفق شروطها الخاصة، عن طريق تجهيز موانئها لنقل البضائع براً وبحراً.

بناءً على ما تقدم، يُظهر مشروع "ممر داوود" نفسه كمخطط شامل يهدف إلى إعادة تشكيل واقع المنطقة بما يتوافق مع الطموحات الاستعمارية الإسرائيلية، ومحاولة فرض نفوذها على مقدرات المنطقة واستغلال ثرواتها. على دول المنطقة وشعوبها إدراك حجم المخاطر المحيطة، والتعاون معًا لمواجهة هذه التحديات، والعمل على بناء رؤى استراتيجية قادرة على تحقيق الاستقرار والأمن والإزدهار. ■

هل دخل لبنان مدار التفاوض الاقليمي لتحقيق التسويات؟

المطلوب منه اكبر واخطر من خطوات عسكرية إجرائية

بيروت ـ غاصب المختار*

هل انتهت الحرب الاقليمية الاكبر بين ايران من جهة وبين الولايات المتحدة الاميركية واسرائيل من جهة ثانية، ام انها معركة عسكرية وانتهت على قرار بوقف اطلاق النار فقط من دون اي اتفاق اوتسوية، ولا زال الوضع مفتوحاً على معارك اخرى قد تشعل المنطقة هذه المرة، مالم يتم تداركها بتوافق ايراني ـ اميركي بشكل خاص يُمهّد لإستئناف مفاوضات الملف النووي الايراني ويؤدي الى تهدئة اقليمية جديدة. بينما تسير على خط موازٍ مساعٍ اميركية حثيثة لتطبيع العلاقات العربية ـ الاسرائيلية بدءً من سوريا ولاحقا لبنان حسب الاجندة الاميركية، التي يبدو انها مستعجلة جداً ولا تأخذ الوقائع والظروف الحقيقية على ارض لبنان وسوريا بعين الاعتبار والتي لا زالت تحول دون التطبيع.

برأي بعض الخبراء اللبنانيين في الشأن الايراني، أن ماجرى بعد وقف الجولة الاولى من الحرب هو دخول الاطراف الثلاثة مرحلة اللا حرب واللا سلم، الى حين تلبية بعض مطالب ايران من المجتمع الدولي بمحاسبة المعتدي البادىء بالعدوان وهي اسرائيل، وتعويض ايران عن الاضرار المادية التي سببها العدوان ومن ثم سببتها الغارات الاميركية العنيفة على ثلاثة مواقع نووية ايرانية اخرجتها مؤقتاً من الخدمة، وهذه المرحلة من اللاحرب واللا سلم ستكون مرحلة تحضيرات (اميركية بشكل خاص) لتبريد جبهات اخرى لا زالت مفتوحة واهمها جبهتا غزة وجنوب لبنان، حيث بدء المسعى الفعلي مجدداً لترتيبات وقف اطلاق نار في غزة، وتنفيذ اتفاق وقف اطلاق النار اللبناني ـ الاسرائيلي المعقود منذ تشرين الثاني/ نوفمبر من العام الماضي ولم تلتزم به اسرائيل منذ اللحظة الاولى.

ثمة من يرى ان لبنان دخل مدار واجواء التفاوض الاقليمي الهادف الى تهدئة التصعيد العسكري، تمهيداً للوصول لاحقاً الى تسويات معقولة ومقبولة اذا امكن ذلك، بعدما امتد التصعيد الخطير من غزة الى لبنان وسوريا واليمن وايران طيلة اكثر من سنتين، بحيث أُنهِكَت الدول المعنية، حتى الكيان الاسرائيلي تعب من الحروب بعدما تعرض للمرة الاولى في تاريخه لدمار غير مسبوق نتيجة القصف الصاروخي الايراني حسبما افاد الاعلام العبري، ما دفع الرئيس الاميركي دونالد ترامب الى التدخل العسكري المباشر ضد اليمن اولاً ثم ضد ايران لتخفيف الاعباء عن الكيان الاسرائيلي، ولتحقيق هدفين مباشرين: الاول الضغط العسكري على ايران لجرها الى استئناف التفاوض حول الملف النووي وفق شروطه واولوياته. والثاني، تخفيف اندفاعة رئيس حكومة كيان الاحتلال بنيامين نتنياهو نحو مواصلة الحرب في غزة وعلى ايران، وجرّه الى الانضواء تحت رعايته السياسية للتوصل الى الحلول والتسويات الاميركية المطلوبة.

وقد ايقن نتنياهو انه بلا دعم ترامب وتدخله المباشر ماكان ليحقق اي انجاز، لا عسكري ولا سياسي، لذا يُنتظر ان "ينضبط" وفق ما يطلبه ترامب منه، وبدأت تباشير الانضباط بالكلام عن قرب التوصل الى صفقة جديدة يريدها ترامب لوقف الحرب على غزة، بالتوازي مع المسعى الاميركي لمعالجة وضع لبنان عبر ايفاد الموفد الرئاسي الى سوريا توماس برّاك الى بيروت في زيارتين طرح فيهما رؤية ترامب للحل في لبنان، بالتوازي مع الاتصالات واللقاءات الجارية في اروقة الامم المتحدة في نيويورك للتجديد لقوات الطوارىء الدولية ـ يونيفيل في جنوب لبنان مدة عام جديد، مع ما يرافقها من مساعٍ اسرائيلية واميركية لتعديل وتوسيع مهامها بمافيها قواعد الاشتباك.

وقد بات معروفاً معظم ما طرحه برّاك على الرؤساء جوزاف عون ونبيه بري ونواف سلام من اقتراحات وآلية تنفيذ لوقف اطلاق النار، تبدأ بتحقيق حصرية السلاح بيد الدولة، وهنا المقصود طبعاً سلاح حزب الله، مقابل الانسحاب الاسرائيلي من النقاط المحتلة ووقف الاعتداءات اليومية واطلاق سراح الاسرى، بالتوازي مع استمرار مسار الاصلاحات الاقتصادية والمالية، ومع مسار ترتيب العلاقات بين لبنان وسوريا لا سيما تحديد وتثبيت الحدود البرية من الشمال الى الجنوب وصولا الى مزارع شبعا وتلال كفرشوبا المحتلة، كونها تشكل احد اسباب استمرار المقاومة للإحتلال الاسرائيلي في لبنان، ولا بد من نزع هذه الحجة من يد لبنان. على ان تبدأ بعد نزع سلاح الحزب مرحلة اعادة إعمار ماهدمته الحرب الاسرائيلة في لبنان.

وبينما انهمك لبنان الرسمي بإعداد الرد على مقترحات برّاك، خرج حزب الله ليعلن رفضه البحث بمصير السلاح قبل إلزام اسرائيل بكل مندرجات اتفاق وقف اطلاق النار، وتقديم ضمانات اميركية حقيقية بوقف الاعتداءات، بالتوازي مع اطلاق مسار اعادة الاعمار بدل تأجيله للمرحلة الاخيرة، على ان يبدأ في المرحلة الاخيرة ما وصفه حزب الله «البحث في آليات حماية وطنية للبنان عبر استراتيجية دفاعية وطنية متكاملة».

براك والمسؤولين اللبنانيين..مصير المسعى الاميركي.

وعاد براك في شهر تموز الماضي الى بيروت لتلقي الرد اللبناني على المقترحات الاميركية، وخلافاً لكل اجواء التهويل والتوتير والتحذير وتحديد المهل ومخاطر التفجير الامني، انتهت جولة براك على المسؤولين في بيروت، "برضى اميركي مبدئي عن الرد اللبناني ، والذي كان حسب وصف براك مدروساً ومتزناً ، وبإمتنان وتفهم اميركي لظروف لبنان"، ومواقف دبلوماسية هادئة تاركاً للبنان تحديد خياراته لبسط سلطة الدولة ومعالجة مسألة سلاح حزب الله، لكن مع تلويح «بإغتنام الفرص المتاحة في مختلف انحاء العالم وبأن صبر الرئيس الاميركي ترامب ليس طويلا وبأنه اذا لم يلتحق لبنان بركب المنطقة سيفوته القطار». ليخلص براك الى القول: أنا متفائل ومتفائل جداً جداً.

وحسب معلومات «الحصاد» من مصادر رسمية تابعت لقاءات براك، فإن نافذة جديدة فتحت في الحوار بين لبنان والادارة الاميركية في اجواء مريحة بعيداعن الضغوط واجواء التصعيد والتهويل التي سادت قبل زيارة براك. وسينقل براك اجواء لقاءاته والرد اللبناني الى الرئيس ترامب ووزير الخارجية لتقرر الادارة كيفية التعامل مع الرد اللبناني. ولعل وحدة الموقف اللبناني الرسمي واخذه بملاحظات حزب الله ضمن الرد اسهما في تغيير المقاربة الاميركية التي اصبحت اكثر دبلوماسية وليونة وتفهماً، لا سيما وان تنفيذ ما تطلبه الادارة الاميركية من لبنان لا يمكن ان يتم تحت النار الاسرائيلية والضغوط السياسية والعسكرية.

نأي بالنفس وتفاوض

لبنان الرسمي والشعبي والحزبي نأى بنفسه جديا هذه المرة عن دخول الحرب الى جانب ايران. وبرأي المتابعين حسنا فعل بذلك لأنه في وضع لا يحتمل مزيداً من تبعات الحروب الكبيرة. ولذلك استقبل الموفد الاميركي براك للتفاوض حول افاق التسوية المرتقبة، وهنا طرح بعض النواب المقربين من حزب الله عبر "الحصاد" اسئلة حول ما هي الضمانات التي ستجعل إسرائيل تلتزم بتلك البنود طالما انه برغم الضمانات الأميركية والفرنسية والأمميّة لم يستطع أحد إجبار إسرائيل على الإلتزام بأي بند من بنود إتفاق وقف النار، وحيث ولم تنسحب ضمن مهلة الـ 60 يوماً، ولم تسمح بإنتشار الجيش بما يمكّنه من القيام بمهمة تسلم السلاح وبسط سلطة الدولة في الجنوب؟ ولذلك، وقبل التشاطر واللعب على الكلمات في اي إتفاق قادم، يبقى السؤال الأهمّ عمّن يستطيع أن يعطي للبنان الضمانات الفعلية والفعّالة والدائمة ويجبر اسرائيل على الإلتزام الفوري والدائم بها! وهنا بيت القصيد.

ويتابع النواب: حتى الآن ثبت العكس، وإسرائيل تبدو فوق كل الضمانات وأصحاب الضمانات، ولذلك، تسليم سلاح حزب الله للدولة ليس اليوم هو المشكلة، بل المشكلة الفعلية ستكون ماذا بعد تسليم السلاح؟! وما هي الضمانات؟! ومن يضمن من؟! وما هي العقوبة على المعتدي بعد تجريد المعتدى عليه؟!

المطلوب اكبر

لكن بعد فحص المطالب الاميركية وهي في خلفيتها اسرائيلية، تبيّن ان المطلوب من لبنان ليس اتخاذ مجرد قرارات وإجراءات تقنية وخطوات امنية وعسكرية لجمع السلاح والانتشار في كامل مناطق الجنوب، كأنها عملية انتشار للجيش اللبناني لمعالجة اشتباك محلي حزبي او عشائري في احد زواريب لبنان، بل هي ورقة عمل تتطلب قرارات استراتيجية خطيرة سياسية ـ عسكرية ـ امنية، واجتماعية ـ حياتية ايضاً، لأنها مرتبطة بإعادة إعمار ما هدمه العدوان الاسرائيلي، وبمسار الاصلاحات البنيوية للإقتصاد والادارة، وبترتيب العلاقات مع السلطة السورية الجديدة، ما يعني ارتباط كل هذه المسائل بمستقبل لبنان السياسي وتركيبته السياسية.

لذلك يبدو التعامل بخفّة واستعجال وربما بخضوع كلّي مع مضامين هذه الورقة الاميركية، وردّ لبنان الرسمي وردّ حزب الله المطلوب عليها، امراً غير واقعي، لذلك إستلزم الرد قراءات متأنية وعميقة سياسية وعسكرية واقتصادية لخلفيات واهداف الورقة الاميركية والنتائج التي يمكن ان تسفر عنها، والتي تؤثر على مستقبل لبنان بعد نزع احد عناصر القوة من يده بوجه الاحتلال الاسرائيلي، نتيجة التلازم بين ما يتم تسريبه من متطلبات لإنهاء الاعمال العدائية في الجنوب وانتشار الجيش اللبناني وحصرية السلاح بيد الدولة، وبين ما يتم تسريبه بالتوازي عن غياب الضمانات وعن توجهات اميركية واقليمية لتحقيق اتفاقات سلام مع الكيان الاسرائيلي، وعن بدء تفاوض سوري- اسرائيلي مباشر في هذا الاطار، يفترض ان يلتحق به لبنان لاحقا اسوة بسوريا، وان يبدأ ترسيم وتثبيت الحدود معها وفق الرؤية الاميركية ـ الاسرائيلية، التي تعتبر ان مزارع شبعا وتلال كفر شوبا المحتلة ليست لبنانية بل سورية محتلة بعد حرب العام 1967. وهو امر مستغرب ومستهجن وينسف كل التأكيدات القانونية والشرعية بالوثائق على لبنانية قسم كبيرمن المزارع، لكن يبدو ان استخدام عدم الاعتراف بلبنانيتها الآن وتبني بعض القوى السياسية اللبنانية لهذه المقولة هومن باب الضغط السياسي على لبنان.

وبغض النظر عن تفاصيل ما تضمّنه رد لبنان والحزب على ورقة الموفد برّاك، فإن لبنان الرسمي والشعبي لا يمكن ان يتهاون في مسائل خطيرة وكبيرة كالتي يطرحها الاميركي والاسرائيلي، وطالما ان الضغوط السياسية والعسكرية مستمرة على لبنان، والحصار قائم على الدعم المالي والكهربائي والخدماتي والإعماري، فإن موقف الحزب المتشدد لن يغير في واقع الامر السيء شيئاً، سوى ربما مزيداً من التصعيد السياسي والعسكري، الذي لن يؤدي الى نتيجة فعلية سوى تأخير الحلول للمشكلة بدل تسهيلها. فهل هذا ما يريده الاميركي؟ وهل يستطيع فعلاً المضي في حلوله للمنطقة من دون حل مشكلة لبنان مع الاحتلال الاسرائيلي؟

بإنتظار الاجوبة مع الرد الاميركي على الرد اللبناني.

* صحافي وكاتب سياسي

هل يستطيع الجيش اللبناني التصدى للخروقات اسرائيلية في الجنوب؟

أزمة الفلسطينيين في وجود رئيس أميركي يضع نفسه وإمكانياته تحت تصرف اسرائيل

ماذا تريد اسرائيل من غزة وما الذي تفعله..؟

فلسطين: أكرم عطاالله

يبدو أن حظ الفلسطينيين العاثر أوقعهم بأسوأ احتلال مر عبر التاريخ ليس فقط لجهة أنه الأكثر توحشاً فقط كما ظهر في العامين الأخيرين كإمتداد لما كان مكثف لما كان خلال ثلاثة أرباع القرن في علاقته بالعربي " الآخر "ولكن لأن العقل الثقافي الذي تشكل عبر التاريخ هو عقل عنصري بإمتياز يقسم العالم إلى قسمين «يهود وأغيار» أي جمع غير كشعب لا يزال يصر على مفهوم الأمة التي لا تختلط مع باقي الأمم ولا تندمج بمفاهيم دينية ذات طابع قومي ، كان بروز القوميات في أوروبا سبباً لإشعال حربين طاحنتين احترقت فيهما القارة كان يحرك عمليات الموت الجماعي فيها تلك النزعة القومية وها هو الفلسطيني يدفع الثمن مضاعفاً على شكل إبادة جماعية.

كانت الدول التي غزت شعوب أخرى بعيدة لديها مكان تعود له في اللحظة التي أصبح احتلالها بلا جدوى حين ارتفعت كلفة السيطرة على الشعوب سواء كلفة بشرية أو مادية كانت سبباً للتوسع أو لفقدان جدوى الإستمرار لكن مأساة الفلسطينيين أن المحتل لديهم يعتبر بلادهم هي الوطن القومي للأمة اليهودية مستنداً على نص ديني قديم لذا اعتبر في بداية حملتة الإبادة على غزة أن تلك الحرب هي حرب وجودية اي على وجوده في المكان والذي تزعزعت فكرته يوم السابع من أكتوبر بينما لم تكن الدول المحتلة مهددة وجودياً وهنا قصة التاريخ التي تفسر حجم المسار السابق وما مورس من وحشية ضد غزة وشكل ما هو قادم.

هنا السؤال الذي بات مطروحاً في أروقة السياسة بعد كل تلك المجازر والمذابح والإبادة وتجريف غزة (بالمناسبة من يعمل على هدم البيوت هي شركات مقاولات اسرائيلية تأخذ مناقصاتها من الجيش) بعد ذلك وبإعتبار أن للحروب نتائج ونهايات ولأن السلاح هو تعبير عن السياسة أو أنه مادة استثمارها فما الذي تريده اسرائيل بعد هذه الوحشية التي أدارتها لواحد وعشرين شهراً كان العذاب الذي تعرض له الغزيون كفيلاً بأن تذرف البشرية دموعها لعقود طويلة وكانت النار التي صبتها اسرائيل على غزة كفيلة بتجفيف البحار والمحيطات .

ظل رئيس وزراء اسرائيل بنيامين نتنياهو صامتاً لأشهر طويلة دون أن يفصح عما يريد تاركاً للجيش وهواة السياسة أن يجربوا أو يتحدثوا عن مستقبل غزة إو إدارة غزة وخصوصاً في فترة الإدارة الأميركية الديمقراطية لكن الأكثر وضوحاً في مشاريع اسرائيل كان يتم الإعلان عنه من قبل الرئيس الأميركي المتجدد دونالد ترامب بأن يقف بنيامين نتنياهو إلى جانبه مفصحاً بتفريغ غزة من السكان وتهجيرهم ورغم ذلك لا زال هناك قدر من البلبلة تسيطر على الخطاب السياسي تجاه غزة مرة بوضع الفلسطينيين في مناطق معزولة وإبقائهم فيها تحت السيطرة العسكرية الإسرائيلية مع خدمات مدنية تقدمها مؤسسات دولية ومرة حكم تتشارك فيه عدة دول عربية تدير غزة وربما يتفتق العقل الإحتلالي عن مشاريع أخرى في ظل الإدراك الفادح لإسرائيل أنها أمام منطقة لن تكف عن الصدام حتى حصولها على حقوقها الوطنية ولكن لا يظهر لإسرائيل خلاص لهذه المعضلة رغم ذلك لا يمكن تجاهل أن جزء من المشاريع على نمط الحكم العربي لغزة أو المناطق الآمنة تتعارض مع مشروع التهجير إلا إذا كانت اسرائيل تخطط أن يكون الأمر على مراحل أي مشاريع مؤقتة تجعل الحياة مستحيلة في إطار مشاريع بعيدة المدى تعمل عليها تل أبيب بالتعاون مع الإدارة الأميركية .

بمعنى آخر تفتيت القطاع جغرافياً وتفكيك البنية المجتمعية التي تعرضت لضربة شديدة بفعل التشتت والنزوح وتدمير البنية الإقتصادية وقد تم ذلك على امتداد الحرب فقد كانت كثير من الضربات لا تحمل أي معنى عسكري بقدر ما تعني الدمار الإقتصادي للمصانع والمعامل والمزارع فكل الجزئيات التي تمت كانت تدفع نحو كلية واحدة وهي ألا يكون قطاع غزة مرة أخرى وألا يعود صالحاً للحياة الآدمية وقد اتضح ذلك في أكثر من منطقة أُخرجت عن الخدمة مثل رفح وجباليا وبيت حانون تلك المناطق التي تم مسحها نهائياً .

في اللقاء الثالث خلال خمسة أشهر بين ترامب ونتنياهو وهو الذي شكل سابقة لم تحدث أن يتم استقبال رئيس وزراء اسرائيلي بهذه الكثافة خلال هذا الوقت القصير ولم يحدث أن يكرر رئيس أميركي دعوة رئيس وزراء اسرائيلي خلال فترة قصيرة لكن طبيعة العلاقة بين الرجلين والتي تسببت بمزيد من العنف والتصعيد في المنطقة ومزيد من الظلم للفلسطينيين ومزيد من العربدة الإسرائيلية على لبنان وسوريا وايران واليمن دون أن تتوقف اسرائيل ولا راعيها للحظة أدراك باتت مهمة بعد كل هذا الدم الذي سال في المنطقة والنار التي تشتعل وكادت تشعل براميل النفط وتحدث هزة للإقتصاد العالمي يمكن أن تتسبب بمزيد من المآسي للبشرية بأن كل هذا الخراب يحدث لأن اسرائيل تريد فقط أن تبقى دولة احتلال تهيمن وتسيطر على شعب آخر.

رغم التضارب والتناقض الإسرائيلي إلا أن موضوع إنهاء غزة وترحيل سكانها هو الهدف الأهم إذا ما تمكنت اسرائيل من تحقيقه وإنهاء هذا التاريخ من الصدام كما تعتقد فالضفة الغربية هي منطقة للسيطرة والضم لأسباب توراتية دينية بالإضافة للبعد الأمني السياسي التوسعي لكن قطاع غزة لا تريده اسرائيل بل تريد التخلص منه مرة وللأبد وقد كانت كل محاولاتها للتخلص فاشلة لتكتشف أن غزة تصر على النزال فلم يبق حل لإسرائيل إلا اقتلاعها من الجذور متكئة على رئيس أميركي يقوم بنيامين نتنياهو بشحنه وتعبئة عقله جاء من خارج مؤسسة السياسة ويعمل فقط من أجل إرضاء اسرائيل وصديقه الحميم بنيامين نتنياهو .

لكن أسوأ ما أحدثته الجريمة الإسرائيلية هو النتائج السياسية الغائبة عن صراع كبير بهذا البعد التاريخي وبهذا القدرمن التعقيد ولأن نتائج الحروب دائما يتم إجراء حساباتها على طاولات التفاوض فهذه هي الحرب ربما تكون الوحيدة التي لا يريد أحد أطرافها أن يجلس على الطاولة حتى لو كانت تميل كفة القوة المسلحة والميدان في صالحه وهذا من غرائب الأشياء فقد تمكنت اسرائيل بحربها الطويلة دون وجود خطة عملية من تحويل مصير قطاع غزة الذي يخضع لتلك التناقضات التي ذكرت إلى مسألة إدارية وأمنية واقتصادية وإنسانية لتقوم بنزع الجزء الأصيل في الصراع وهو البعد السياسي الذي قامت الحرب والسابع من أكتوبر وهو صاعق التفجير الدائم في اصرار دولة محتلة على استمرار حكم شعب آخر بالقوة المسلحة ومصادرة حقوقه وحصاره بل وأيضاً ملاحقته في أرضه وممارسة كل أشكال العنصرية من كانتونات وإغلاق وحواجز والتحكم بكل شيء في حياته والمس بمقدساته الدينية واستباحتها بشكل مستمر.

لكن كل تلك الأفكار المطروحة والتي يقف التهجير في مقدمتها والتي يتم تداولها وإن تناقضت في لحظة ما لكنها ترتبط بمسالة واضحة وهي استمرار فصل قطاع غزة عن باقي الكتلة الفلسطنية في الضفة الغربية وإبقائه بعيداً عن المجتمع الفلسطيني وامتداده الإجتماعي والثقافي والحضاري والسياسي وتلك الأخيرة هي الأكثر خطورة متكئة على ثمانية عشر عاماً من الإنقسام بين الفلسطينيين وتولُّد نظامين سياسيين متوازيين ومشوهين واحد في الضفة والآخر في غزة أمضيا عقوداً في الصراع بينهما ومحاولات فاشلة في المصالحة لكنه خلال تلك السنوات السوداء في تاريخ الشعب الفلسطيني كان يتكرس التباعد بين المنطقتين ثقافياً واجتماعياً ونفسياً وهو ما عملت عليه اسرائيل التي غذت هذا الإنقسام كل تلك السنوات الطويلة وحالت بما تملكه من وسائل شديدة الدهاء ومن قوة دون تقارب الفلسطينيين .

قبل ثلاثة أسابيع كشفت صحيفة فاينانشال تايمز أن مجموعة بوسطن الأميركية للإستشارات كانت قد بلورت نماذج لتكلفة مشروع حمل اسم «أرورا» لتهجير الفلسطينيين خارج القطاع قبل أن تنسحب من المشروع وتفصل اثنين من كبار الشركاء بعد الكشف عن عملها على خطط بشأن مستقبل غزة بعد الحرب ووفقاً للصحيفة فقد ساهمت المجموعة في تأسيس «مؤسسة غزة الإنسانية» المدعومة من اسرائيل والولايات المتحدة ودعمت شركة أمنية مرتبطة بها وذلك قبل أن تنسحب من المشروع لتدارك اسقاطاته القانونية محلياً ودولياً ثم بعد ذلك يصدر الرئيس التنفيذي للمجموعة بيانا يقول فيه «أن انخراط شركته في اعداد خطط ما بعد حرب غزة والتي شملت تقدير تكاليف تهجير سكان القطاع كان مدمراً للغاية لسمعة المجموعة» في محاولة للتبرؤ من المشروع بإعتباره أحد أوجة الإبادة وشريكاً أو مكملاً لها.

أزمة الفلسطينيين في وجود رئيس أميركي يضع نفسه وإمكانياته تحت تصرف اسرائيل وتلك تضاعف حجم المأساة عندما يسخر إمكانيات الدولة الأكبر في العالم في صالح اسرائيل إذ يظهر الرئيس القادم من عالم المال والأعمال بأنه القوة الضاربه لنتنياهو هكذا تبدى الأمر في ولايته الأولى التي امتدت بين أعوام 2016 ـ 2020 حين اعترف بالقدس عاصمة لإسرائيل وهو ما لم يفعله أي رئيس قبله وكذلك ضم الجولان وصفقة القرن وتأكد ذلك في الأشهر القليلة للولاية الثانية ليذهب للحد الأقصى مرة واحدة وهي تفكيك الهاجس الديمغرافي الفلسطيني الذي تنشغل به دوائر الدولة ومراكزها الإحصائية التي لم تتوقف عن التحذير من أعداد الفلسطينيين بين البحر والنهر وأعداد اليهود .

يبدو أن الإندفاعة التهجيرية تشهد صعوبات تحول دون استمرارها بنفس الوتيرة فالبيت الأبيض لم يعد مسكوناً بالهاجس وفي تراجع هام يدلي نتنياهو من واشنطن بتصريح بأنه فقط يخير الفلسطينيين ولا يرغمهم على الرحيل بعد ان قضى على كل ممكنات الحياة والأخطر هو تفكيك المجتمع الفلسطيني بشكل مدروس وبات واضحاً أن حرب اسرائيل على غزة لن تتوقف قد تشهد هدنة مرة واحدة أو يتكرر هذا التقطع لكن الشعارات والأهداف التي وضعها نتنياهو تتعارض مع الوقف الدائم لها إلا إذا استسلمت حركة حماس كما يقول نتنياهو وترامب وهذا غير وارد لدى حركة أيدلوجية دينية اسلامية تخوض صراعها مع من يحتل أرضها وتعتبر أن استسلامها هو تسليم بشرعية الإحتلال .

فماذا تخطط اسرائيل لغزة وهل لديها مشروع واضح أم أن اللعثمة هي السائدة تاركة للميدان والوقت وذوبان البشر أن تصل إلى نتيجة معينة ؟ أغلب الظن ذلك فدوما اسرائيل ما تجمع بين التخطيط والوقت وتستغل المناخات لتضرب ضربتها بقوة ربما هذا هو الوقت لغزة ولكن الحقيقة الأكبر أن النسبة الكبرى من اللاجئين في هذا القطاع الصغير قادرة على التحمل نظراً لظروفها في اللجوء الإستثنائي خلال رحلة ثلاثة أرباع القرن لم يهاجر الفلسطينيون ولم يستقبلهم أحد وتقف اسرائيل بين اندفاعة الرغبة وفرامل عدم القدرة والإمكانيات فما الذي ستفعله؟ السؤال هو امتداد للصراع التاريخي والذي يعكس كل مرة أزمة اسرائيل في هذا الجيب الصغير.

بين ضرورات السياسه .. ومحاذير الأيدولوجيات والأصوليات

العرب والمواجهة مع ايران

لندن: أمين الغفاري*

كان للكاتب الكبير الراحل محمد حسنين هيكل جمهور عريض من القراء في المنطقه العربيه، وكان (ولا زال) له مقدرين ومعجبين باجتهاداته وآرائه السياسيه، في مناطق مختلفة من العالم، فقد كان يكتب في بعض الصحف العالميه،بل ان كتاباته كانت تنشر في الصين،وله كتاب عن مقالاته في الصين. وقد كان على الدوام حريصاً على تأكيد العلاقات العربيه مع ايران، وهو امر جدير بالتقدير والأحترام ،ان يكون الكاتب على الدوام رسول خير وسلام للأمة وللانسانية عموما ،فالسلام شرط للتطور وللنهضة ولأسعاد البشر وتاريخيا كانت له علاقاته مع ايران، بعد زيارته الأولى لها عام 1951 وقد أصدر اول كتبه بشأنها (ايران فوق بركان) بعد ان استغرقت زيارته تلك شهرا من الزمن، وكان حينها مراسلا لجريدة (اخبار اليوم).

والتقى في تلك الزياره بشاه ايران،كما التقي برئيس الوزراء الذي خاض معركة التأميم لنفط ايران ممحمد مصدق، كما التقي بابرز رجال الدين الشيعه في ذلك الزمان ،آية الله الكاشاني، ولم تكن تلك الزياره، مجرد زياره استكشافيه، وانما كانت زياره لواقع ايران من حيث قواها السياسية والشعبيه، ولجس النبض الشعبي ولرؤاه، وتطلعاته وطموحاته.ايضا كان الاستاذ هيكل هو من التقي الخوميني قبل الثورة الايرانيه (بناء على اقتراح من ابراهيم يازدي وكان اول وزير لخارجية ايران بعد الثوره،وقد طرد بعد ذلك بل وسجن) كما التقى هيكل مع الخوميني بعد الثورة في ايران .

وقد ظل الاستاذ هيكل من اشد المتحمسين لزيادة الروابط مع ايران، بل ان له مقوله شهيره قالها في احد البرامج الحواريه في التلفزيون المصري مع الاعلاميه (لميس الحديدي). يقول فيها (سيحاسبنا التاريخ لأننا لم نوثق علاقاتنا مع ايران،بعد ثورتها على الشاه، (ويمكننا القول من جانب آخر (ان التاريخ سيحاسب ايران على انها أهدرت كل الفرص لدعم علاقاتها مع العرب). والسؤال .. هل ثمة خلاف بين سياسة الشاه ،بالنسبة للعرب وسياسة الثورة الايرانيه؟

أعود في الأجابة الى الأستاذ هيكل نفسه، وحديثه مع الشاه اثناء زيارته لأيران بعد انقلاب الجنرال زهدي على محمد مصدق ورجوع الشاه الى الحكم ،وعاد الاستاذ هيكل الى زيارة ايران عام 1975 بعد خلافه مع الرئيس السادات، و اقالته من رئاسة تحرير (الأهرام) تفرغ الاستاذ هيكل للقيام بعقد سلسله من اللقاءات مع شخصيات بارزة في المنطقه تميزت بتركيزها على القضايا السياسية والأقتصاديه خاصة فيما يتعلق بالنفط والأمن القومي. وفي لقائه مع شاه ايران ،قال له الشاه قبل ان تسألني اي سؤال، اريد ان أسألك انا واعرف الاجابه منك لمذا كان عبدالناصر حادا معي لعودة علاقة ايران باسرائيل ، بعد ان قطعها مصدق ،مع انني لم اكن المعترف الأول بدولة اسرائيل، ورد هيكل قائلا :لقد كنت الاول في معاودة الاعتراف بعد توقف تلك الموجه، ولذلك كان الموقف منك حادا ،وتلك كانت رسالة لمن يفكر في الاعتراف باسرائيل واقامة علاقات معها لاحقا .ثم قام الاستاذ هيكل بتوجيه هذا السؤال له «لماذا كل هذه الترسانه من الأسلحه التي تزود بها جيشك، وارجو ان لا تقول لي من اجل مواجهة السوفييت، فهم على الحدود، لأنك مهما حاولت ان تسلح جيشك وحصنته بترسانه من السلاح، لن تستطيع مجابهة السوفييت، الا بالتدخل الغربي المباشر، وعلى ذلك فانني اري ان هذه الأسلحه معده للأستخدام ضد العرب ،الذين هم يجاورونك ولك تطلعات وخصوصا بعد الأستيلاء على الجزر».

اجاب الشاه ليست القضية تطلعات، ولكن المسأله تكمن في الأستعداد للمواجهه التي يمكن ان تحدث،فهناك مشاكل في العالم العربي، وعلينا ان نتقي آثارها.انظر لما يحدث في (ظفار). قد تقول انها ثورة أو اضطرابات داخليه،بعيدة عنا، ولكن عليك ان تعلم انها سواء كانت اضطرابات او ثورة ايدولوجيه. انهم الشيوعيون الذي يتحركون ،وعلينا ان نستعد للمواجهة ان تطلب الأمر ذلك،ولم تكن اجابة الشاه مقنعه، وكان من المؤكد ان تسليح ايران معدا من اجل طموحاتها في المنطقه العربيه ، ونضع في الاعتبار احتلالها قبل ذلك (عربستان) ثم تحرشها بالعراق من اجل (شط العرب) وقد قامت ثورة (ظفار) ضد السلطان سعيد بن تيمور،وحين تعرضت للأنشقاق قرر بعض أعضائها قبول عرض السلطان قابوس الذي توج حديثا على البلاد،وكان هذا العرض ناجحا في التهدئة داخل (ظفار) وتلاه وصول مساعادات عسكرية ومالية من الدول الأوروبيه).اي انها لم تشكل اي تهديد لأيران.

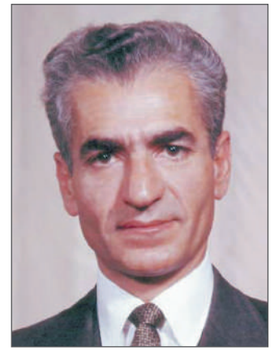

محمد بهلوى.. شاه ايران كان شرطيا لمنطقة الخليج

اردوغان.. برز دوره في ادارة السياسة التركيه المرنة

شاه ايران والعالم العربي

قبل ثورة يوليو عام 1952 ،كانت النظم القائمه في منطقة الشرق الأوسط متقاربه،فيما بينها الى حد بعيد، ومنها الأمبراطوريه مثل ايران والملكيه مثل مصر والسعوديه والعراق والاردن والمغرب وليبيا وجمهورية مثل سوريا ولبنان وتركيا، وامعانا في مزيد من التقارب، تزوجت شقيقة الملك فاروق الأميره (فوزيه) من شاه ابران محمد رضا بهلوي، وقد بذل على ماهرباشا مستشار الملك فاروق جهدا طاغيا لأقناع الملك فاروق بالموافقه،حتى يعزز مكانته في العالم الأسلامي، وقد اثمر هذا الزواج الأميره (شاهناز) كما تزوج احمد شفيق بك وهو مصري ايضا من شقيقة شاه ايران التوأم (أشرف بهلوي) وقد تم طلاقهما 1959 وقد انجبا ولدا وبنتا. تماثل النظم في الجوانب الدستورية، والأتجاهات السياسيه، يدفعها للتقارب من اجل المصالح السياسيه لكل الأطراف. وكانت المصاهرة احد الأساليب ، لكن بعد الثورة المصريه 1952، وانعقاد مؤتمر باندونج 1955 ،وكان يمثل مظاهرة عالميه ضد الأستعمار ،ومشاركة بعض الدول العربيه به،نقطة تحول، ثم قيام الملك حسين في الأردن بطرد الجنرال جلوب من الجيش الأردني، وتعريب قيادة الجيش في مارس 1956، ظاهره جديده ،ثم تأميم قناة السويس 1956 وتحقيق الوحده بين مصر وسوريا 1958 وقيام الثوره العراقيه 1958 وبروز حركة التحرر الوطنى ضد الوجود الاستعماري .ورفع شعار (القومية العربيه). وكانت تلك ظاهره جديده ،ولذلك كان الرد الغربي يتمثل في التركيز على اصدقاء امريكا في المنطقه ،لاسيما ان امريكا كانت هي المدبره للأنقلاب على مصدق ،واعادة شاه ايران للحكم .لذلك كان العمل جادا في الحفاظ على الشاه ونظام حكمه باعتباره شرطيا لمنطقة الخليج بالنسبة للغرب.وفي الزياره الأخيره للرئيس الأمريكي الراحل كارتر لأيران 1977 قال (ان ايران هي ارض السلام في المنطقه).

الثورة الايرانيه

استقبلت الثورة الأيرانيه بحفاوة شعبيه بالغه في العالم العربي، لاسيما وانها قامت على الفور بطرد السفير الأسرائيلي، وحولت السفارة الأسرائليه،الى سفارة لفلسطين. وان كانت حركة الاعدامات المتتاليه التي صبغت انطلاقة الثوره الأيرانيه مصدر ازعاج، وأثارت الكثير من القلق على مسارها، الا أن ماكان يتواتر من اخبار حول عزمها على جعل اللغة العربيه تدرس كمادة ثانية في المدارس الايرانيه، كما انها سوف تقوم باعادة الجزر الثلاث التي اغتصبها الشاه من دولة الامارات العربيه،من اجل ايجاد مساحة من الثقة والتقارب مع العالم العربي،وما يترتب على ذلك من انتظار علاقات اكثر حميميه بين ايران والعالم العربي. ولكن جاءت الصدمة من امتدادات الأحداث، التي كانت تبشر بتحولات كبري في حجم الأمال العربيه، فلم يتم تدريس اللغة العربيه،ولم يتم تسليم الجزر العربيه،بل ان ايران ترفض حتى مبدأ المفاوضه أو التحكيم،وتعتبر ان الحكم السابق الشاهنشاه قد حقق مكسبا وطنيا لأيران فكيف للثورة ان تفرط فيه. ثم جري التحرش تباعا بالعراق،عن طريق سلسلة التفجيرات ،في محاولة لتصدير الثورة الأيرانيه الى العراق العربي.

ومن ثم كانت الحرب التي امتدت لثمان سنوات. ثم جرى ضرب العراق بواسطة التحالف الذي قادته الولايات المتحده تحت شعارات كاذبة ومضلله فحواها (ان العراق يمتلك اسلحة الدمار الشامل) وانها تمثل خطورة على السلام العالمي). جرى العدوان،الذي اتضح معه كذب ادعاءات قادة دول التحالف.والأدهي والأمر ان جري تسليم العراق المنهك، بعد ضربه وتخريب بنيته الأساسيه ومرافقه ،بل والعبث بتراثه الذي يمتد الى اعماق التاريخ الى ايران،وتكشف الوجه الأخر، لمسار الثورة الأيرانيه .انها ثورة (فارسية) الأصل والمضمون. وان الصراع بينها وبين جيرانها هو صراع قومي ،ويفسر ذلك بوضوح تصريح احد مسؤوليها (ان بغداد ستكون عاصمة الأمبراطورية الفارسيه. وتصريح آخر (لقد امتد نفوذنا الأن الى خمس عواصم عربيه).

التحليلات والأوصوليات والمذاهب

ايران احد الدول الرئيسية في منطقة (الشرق الأوسط) ،فهي ليست دولة دخيله أو مصطنعه، وتاريخها طويل وعريض وفيه نبض الحضارات،ولذلك لايمكن التعامل معها،مهما كانت درجة الخلاف ،باعتبارها دولة هشه، أو مجرد قاعدة عسكريه، يجرى استخدامها وقت الحاجة، كالكيان الصهيوني على سبيل المثال، وكذلك الحال مع تركيا ،فهناك تاريخ يجمعنا بها لقرون عديده من الزمن ،كان يلفنا فيها علم واحد. تلك مراحل من التاريخ مرت ،وتركت فينا ذكريات،بعضنا ينظر لها باجلال، لكونها كانت امبراطوريه اسلاميه، وبعضنا ايضا يحسبها ضمن الأطار الأستعماري الذي يتلفع بالدين، ومهما كانت رؤيتك فان الواقع السياسي، والهجمة الأستعماريه الصهيونيه تقتضي من الجميع الاحتكام الى المنهج السياسي الذي يكفل لنا الخلاص مما يدبر،أو يخطط له ،بشأن اعادة رسم الخريطه التي قسمت العالم العربي عام 1916 ،والمعروفه باتفاقيات (سايكس - بيكو). كانت تركيا بقيادة (أردوغان) هي التي اقتربت من العالم العربي،وقضاياه، بعد ان كانت على مدى عشرات السنين جزء من التحالف الغربي المناوئ للساسات العربيه،ونتذكر تهديداتها لسوريا عام 1957 مما اضطر عبدالناصر الى ارسال قوات مصريه لتقف على الحدود التركيه مع سوريا في اعلان صريح للمسانده المصريه. تغاضى اردوغان عن خلافه مع السيسي بعد اطاحة الأخير بحكم جماعة الأخوان ،وابرم اتفاقات تعاون مع مصر، والآن بصدد ابرام اتفاقات جديده على المشاركه في تصنيع معدات عسكريه. ويبقى الموقف مع ايران ومشكلتها مع دول المنطقه،حول السيطره السياسيه ان لم تكن العسكريه، على دول الجوار.وقد بذلت جهودا عديده ومضنية في تشكيل (روافد عسكرية) لها في بعض الدول العربيه،وهو امر ليس سرا ،ويستدعي ان نقف ونتساءل عن المستقبل المرتقب في اطار تلك السياسات؟

محمد حسنين هيكل.. لم يناقش ابدا الصورة الاخرى للسياسة الايرانيه

ابراهيم اليازدى..اول وزير خارجيه لأيران في عهد بازركان

ايران دوله من دول منطقة الشرق الاوسط ،ليست مختلقه ،وانما يمتد بها التاريخ طويلا ولذلك فهي ليست اسرائيل، بأي حال من الأحوال، والسؤال لماذا تتخاصم مع العرب،سواء في عهد الشاه، أوفي عهد الثورة، فلم يسلم العرب من ايران. هو بالتأكيد ولا ينبغي له ان يكون صراع مذاهب، فلقد عاشت كل المذاهب تحت الحكم الملكي،

وفي عهد الحقب المتعاقبه في العراق في تعاون وسلام حقيقي. وسؤال اكثر دقه لمن تحاول ايران ان تنتج سلاحها النووي، هل تنتجه للغرب ومقارعته للقوة للسيطره على مقاليد العالم .لا يمكن ان يكون حلم ايران محاولة السيطره على العالم . وانتاج اي سلاح نووي ليس القصد منه السيطره العالميه ولقد قامت كل من الهند وباكستان بانتاج الاسلحة النوويه، لهدف محدد وهو لكي تردع كل منهما الأخري ،فهما خصمان لحقب طويله ،واستفحل بينهما الصراع الى حد الأنفصال وتكوين دولتين، ومازال الصراع قائما حول (كشمير) ولذلك سمح لهما النظام العالمي بانتاج السلاح النووي لوجود قدر رادع لكل منهما. فما هي الحكمة من انتاج سلاح نووي ايراني، ولماذا لاتسمح امريكا ولا ترضى اسرائيل ،وذلك لسبب يسير ،وهو ان المنطقه العربيه هي موطن الصراع بين امريكا واسرائيل من جانب وبين ايران وطموحاتها في الارض العربيه من جانب آخر ، وكما قال هيكل لشاه ايران عام 1975 أنه من اجل الطموحات الفارسية في المنطقه العربيه. ومن اجل ذلك يتعثر الوفاق دائما بين ايران والعالم العربي ، وما ان يتم التوافق ،حتى يصعد الخلاف والتوتر من جديد وبشكل دائم ،ولذلك يتم زرع الروافد العسكريه في اكثر من دولة عربيه والهدف تعطيل الأرادة الوطنيه،كما يحصل على الدوام في لبنان سواء في اتخاذ موقف سياسي أو حتى تشكيل وزاره ،أو الأتفاق على رئيس جمهورية واستمرار صلب القرار،واتحاذه رهينة حتى يصدر القرار الأيراني. لقد قال الأستاذ الراحل محمد حسنين هيكل في حواره التلفزيوني (سيحاسبنا التاريخ لأننا لم نوثق علاقاتنا مع ايران، بعد ثورتها على الشاه !). ويمكننا القول من جانب آخر (ان التاريخ سيحاسب ايران على انها أهدرت كل الفرص لدعم علاقاتها مع العرب ،فهو أمن لها وامن لهم).

*كاتب وصحافي مصري

بكين تقود حملة شرسة لإبعاد الدولار عن الساحة

هل تستطيع الصين قيادة نظام مالي عالمي جديد؟

اليوان في مواجهة الدولار

كتب المحرر الإقتصادي

في ظل التحولات الجيوسياسية والاقتصادية المتسارعة، تتجه أنظار العالم نحو محاولات الصين الحثيثة لتدويل عملتها، اليوان (الرنمينبي)، بهدف تقليص هيمنة الدولار الأميركي على النظام المالي العالمي. وتسعى بكين إلى تعزيز نفوذها الاقتصادي والسياسي من خلال إيجاد بديل أو منافس للدولار الذي طالما كان العملة الاحتياطية والوسيط الرئيسي للتجارة والاستثمارات الدولية.

ومع تراجع الثقة الدولية بالدولار الأميركي حيث انخفض مؤشره بأكثر من 9 في المائة هذا العام، تعمل الصين على تطوير اجراءات وتدابير للمؤسسات الأجنبية لاستخدام اليوان. ومنها مثلاً ان بنك الشعب الصيني (البنك المركزي) بدأ يبحث في كيفية الحد من الاعتماد المفرط على عملة سيادية واحدة، فيما أعلن عن خطط لإنشاء مركز لتدويل اليوان الرقمي في شنغهاي، وتعزيز تداول العقود الآجلة للعملات الأجنبية. كما تم إطلاق نظام دفع سريع في هونغ كونغ يسمح بتحويل المدفوعات باليوان أو دولار هونغ كونغ إلى البر الرئيسي للتجارة والخدمات، مما يُعزّز تكامل السوقين.

وفي هذا الوقت، في ظل تصاعد الانقسامات في منظومة التجارة العالمية والتوترات الجيوسياسية التي دفعت إلى إعادة تقييم تدفقات الأموال عالمياً، بات القائمون على إدارة احتياطيات البنوك المركزية حول العالم، والتي تقدر بتريليونات الدولارات، يتجهون إلى تقليص اعتمادهم على الدولار الأميركي لصالح الذهب واليورو واليوان الصيني.

لكن السؤال يظل: هل ستمتلك الصين القدرة على تحقيق هذا الهدف الطموح، وما هي أبرز التحديات التي تواجهها في هذه المسيرة الطويلة والشاقة؟

طموحات بكين

تتصاعد الجهود الصينية لتدويل اليوان مدفوعة برغبة في تقليل الاعتماد على الدولار، خاصة في ظل التوترات التجارية والجيوسياسية المتزايدة. وترى بكين في اللحظة الراهنة فرصة استراتيجية نادرة لتسريع حملتها الرامية إلى إعادة تشكيل التجارة والتمويل العالميين.

وتشمل استراتيجية الصين لتعزيز مكانة اليوان عدة محاور رئيسية:

- تسهيل تدفقات رأس المال وفتح الأسواق المالية: تعمل الصين على تخفيف القيود المفروضة على حركة رؤوس الأموال وفتح أسواقها المالية بشكل أوسع لجذب المستثمرين الأجانب. هذا يتضمن زيادة حصص الاستثمار للأفراد المحليين في الأوراق المالية الخارجية، مما يزيد من تداول اليوان دولياً. كما تسعى لإطلاق منتجات مالية جديدة لجعل الاستثمار في الأصول المقومة باليوان أكثر جاذبية.

- تطوير أنظمة الدفع عبر الحدود: تعد أنظمة الدفع إحدى الركائز الأساسية لتدويل العملة. وكانت الصين أطلقت في عام 2015 نظام المدفوعات البينية عبر الحدود باليوان والذي يوفر خدمات المقاصة والتسوية للمعاملات باليوان عبر الحدود، ولديه أيضًا قدرات مراسلة تنافس نظام سويفت. وقد شهد هذا النظام توسعاً ملحوظاً ليشمل المزيد من البنوك الأجنبية، ووصلت مشاركته حالياً إلى مراكز اليوان الخارجية في إفريقيا والشرق الأوسط وآسيا الوسطى وسنغافورة، مما يعزز تسويات اليوان في المعاملات التجارية الصينية العابرة للحدود.

- تعزيز استخدام اليوان الرقمي : تولي الصين اهتماماً كبيراً لليوان الرقمي كأداة لتعزيز التدويل، وتخطط لإنشاء مركز عمليات دولي لليوان الرقمي في شنغهاي، بهدف تعزيز فائدة العملة عالمياً وتقليل الاعتماد على العملات الدولية المهيمنة. وقد بدأ برنامج اليوان الرقمي التجريبي في عام 2020 وتوسع ليشمل 12 مدينة ومنطقة.

- تشجيع تسوية التجارة الثنائية باليوان: تحث الصين الدول الأخرى على استخدام اليوان في تجارتها الثنائية معها. على سبيل المثال، في مارس (آذار) 2023، أعلنت عن اتفاق مع البرازيل لاستخدام اليوان الصيني والريال البرازيلي بدلاً من الدولار الأميركي لتسوية التجارة بين البلدين. كما زادت نسبة قروضها الخارجية المقوّمة باليوان من حوالي 15 في المائة في عام 2021 إلى ما يقرب من 40 في المائة في عام 2024، مع التركيز بشكل خاص على آسيا.

- تطوير أسواق السندات باليوان خارج البر الرئيسي: شهدت سوق "سندات ديم سوم" (Dim Sum bonds) المقوّمة باليوان والصادرة في هونغ كونغ نمواً ملحوظاً، إلى جانب إطلاق "سندات فورموزا" في تايوان. تهدف هذه الخطوات إلى توفير المزيد من الأدوات المالية للمستثمرين الأجانب للاحتفاظ باليوان.

على الرغم من الطموحات الصينية والجهود المبذولة، فإن طريق اليوان ليحل محل الدولار كعملة احتياطية عالمية طويل ومليء بالتحديات الهيكلية والمؤسسية. ومن هذه التحديات، عمق وسيولة الأسواق المالية الأميركية القائمة على الدولار، والتي تتمتع بسيولة وعمق لا مثيل لهما، مما يسمح بتحويل مبالغ ضخمة من الأموال بأقل تأثير على أسعار العملات أو الأصول. في المقابل، تفتقر أسواق اليوان إلى هذا المستوى من السيولة والعمق، وهو أمر ضروري لأي عملة تطمح لتكون عملة احتياطية عالمية تستطيع تلبية احتياجات المستوردين والمصدرين والمستثمرين على مدار الساعة.

كما تُعد ضوابط رأس المال الصارمة التي تفرضها الصين عقبة كبرى أمام تدويل اليوان. فالسماح بحرية حركة الأموال من البلاد وإليها أمر حيوي لجذب المستثمرين الأجانب. وتلتزم الصين بمبدأ "الثالوث المستحيل"، حيث تحافظ على ربط شبه ثابت لسعر صرف اليوان بسياسة نقدية مستقلة، ولكنها تضحي بحرية حركة رأس المال. هذا التقييد يجعل اليوان غير مناسب كبديل احتياطي عالمي، حيث يحتاج المستثمرون إلى القدرة على تحويل العملة بسهولة.

كذلك، يُشكل غياب الشفافية في المؤسسات المالية الصينية، إلى جانب طبيعة النظام السياسي الذي يمنع وجود ضوابط وتوازنات رسمية على المؤسسات المالية المملوكة للدولة، مصدر قلق للمستثمرين الأجانب. تفتقر الصين إلى سجل طويل من الاستقرار والثقة الذي تتمتع به الولايات المتحدة، مما يجعل المستثمرين يفضلون الأصول المقومة بالدولار كملاذ آمن.

وبالإضافة إلى ذلك، وعلى الرغم من النمو الاقتصادي الهائل للصين، يرى بعض المحللين أن اقتصادها لم يصل بعد إلى مرحلة النضج الكامل ليتمكن من دعم عملة احتياطية عالمية. إذ أن هذه المكانة تتطلب اقتصاداً متطوراً ومتنوعاً وقادراً على استيعاب الصدمات العالمية.

وفي الداخل، يمكن أن تواجه جهود تدويل اليوان معارضة من قطاعات في الصين، مثل قطاع التصنيع الضخم، الذي قد يتأثر سلباً بارتفاع قيمة اليوان. كما أن التدويل الكامل قد يقيد قدرة بنك الشعب على إدارة السياسة النقدية بما يخدم المصالح المحلية.

بنك الشعب الصيني يبدأ بإجراءات وتدابير لتعزيز استخدام اليوان خارجياً

هيمنة الدولار: أرقام تتحدث

يُظهر الدولار الأميركي حالياً هيمنة واسعة النطاق على النظام المالي العالمي. وبالنظر إلى بيانات التجارة والمعاملات الخاصة بالدولار الأميركي خلال السنوات العشر الماضية، حافظت العملة حتى الآن على دورها المحوري في الأسواق الدولية. وتبلغ حصة الولايات المتحدة من الناتج المحلي الإجمالي العالمي حوالي الربع، بينما تبلغ حصة البلاد في التجارة العالمية في السلع والخدمات التجارية أقل، حيث تشكل حوالي 11 في المائة.

في نهاية العام 2024، كانت ما نسبته 58 في المائة من احتياطيات النقد الأجنبي العالمية بالدولار الأميركي. وفي يونيو (حزيران) 2025، بلغت مدفوعات سويفت الدولية بالدولار الأميركي حوالي 48 في المائة من إجمالي المدفوعات، بزيادة تزيد عن 3 نقاط مئوية منذ يونيو (حزيران) 2014. أما اليوان الصيني، المنافس للدولار، فقد بلغ 4.5 في المائة فقط من إجمالي المدفوعات الدولية.

و تشير بعض التقارير إلى أن نسبة المدفوعات باليوان في التجارة السلعية الصينية وصلت إلى 30 في المائة في يناير (كانون الثاني) 2025، وأن اليوان قد تجاوز الدولار في تسويات المعاملات الصينية العابرة للحدود في السنوات الأخيرة، لكن هذا لا يعكس حصته في التجارة العالمية ككل.

طريق طويل وشاق

إن طموحات الصين لتدويل اليوان وتحدي هيمنة الدولار أمر مفهوم في سياق سعيها لتعزيز نفوذها العالمي. وقد أظهرت بكين جدية في هذا المسعى من خلال إصلاحات مالية، وتطوير أنظمة دفع، وتشجيع الاستخدام العالمي لعملتها. ومع ذلك، فإن المعوقات الهيكلية الكبيرة، أبرزها ضوابط رأس المال المحدودة، ونقص عمق وسيولة الأسواق المالية، وبعض المخاوف المتعلقة بالشفافية والحوكمة، تشكل تحديات هائلة أمام اليوان ليحل محل الدولار كعملة احتياطية عالمية.

وعلى الرغم من أن التوترات الجيوسياسية قد تدفع بعض الدول للبحث عن بدائل للدولار، إلا أن شبكة الأسواق المالية الأميركية الراسخة، وموثوقية النظام القانوني، وحجم الاقتصاد الأميركي، تمنح الدولار ميزة تنافسية يصعب تجاوزها في المدى القريب أو المتوسط. ومن المرجح أن يستمر اليوان في النمو التدريجي كعملة للتجارة الإقليمية والاستثمار، لكن تحقيق مكانة الدولار المهيمنة سيتطلب إصلاحات جوهرية في النظام المالي الصيني، وتحولات جيوسياسية أعمق وأكثر استدامة. حتى ذلك الحين، سيظل الدولار هو الملك المتوج للنظام المالي العالمي.

مستقبلات

البروفسور مازن الرمضاني*

الصراع الدولي: رؤية في المفهوم والتطور الكمي والنوعي بعد انتهاء الحرب الباردة

في مقالتنا للشهر الماضي تناولنا مفهوم المفاوضة باعتبارها الأداة التي، كما تؤكد التجربة الدولية عبر الزمان، تنتهي عندها الصراعات الدولية. في مقالنا لهذا الشهر سننصرف إلى البحث في مفهوم الصراع الدولي وتطوره الكمي والنوعي بعد انتهاء الحرب الباردة. وسيصار إلى تأجيل تناول استراتيجيات إدارة الصراع الدولي إلى عدد شهر أيلول من المجلة.

1. مفهوم الصراع الدولي

على صعيد العلوم الاجتماعية، تتعدد وتتباين الرؤى بشأن مضامين مفاهيم أساسية ذات علاقة باهتماماتها، ومنها مفهوم الصراع الدولي. لذا نتساءل: ماذا يقصد بهذا المفهوم؟

ابتداء، تعد كلمة الصراع، بمثابة الترجمة العربية لكلمة (Conflict) الإنكليزية، التي ينبع أصلها من الكلمة اللاتينية (Conflictus) على الرغم من أنها تعني الخصومة في اللغة العربية، إلا أنها، من حيث مدلولها الاصطلاحي/ الإجرائي، تُستخدم بمعان ومضامين متعددة ومتباينة .

وبغض النظر عن تلك الرؤى التي تتميز بقدر عال من العمومية والتبسط كالقول مثلا أن مفهوم الصراع، بمعناه العام، يستوي و «الخلافات التي تنشأ بين الأفراد»، أو «العداء المشترك بين الجماعات»، أو هو «مشكلة تستدعي الحل"، يدرك بالمقابل كثيرون المفهوم انطلاقا من فكرة التناقض الحاد والصريح بين المصالح و/أو القيم المنشودة أو ما شابه ذلك بين طرفين و/أو أكثر. والشيء ذاته ينسحب على مفهوم الصراع الدولي. فمثلا، يفهمه أستاذ دراسات السلام والصراع النرويجي يوهان كالتونغ، بدالة المثلث الناجم عن اجتماع ثلاثة أبعاد أساسية، هي: التناقض، والإدراك، والسلوك. فأما عن التناقض، فهو يعبر عن حالة الصراع الكامن جراء تضارب المصالح بين أطراف الصراع، ونزوع كل منها لتحقيق ثمة اهداف متقاطعة. وأما عن الإدراك، فهو يعبر عادة عن التصورات السلبية، التي يحملها كل طرف عن الآخر والناجمة عن عواطف الخوف و/أو الغضب و/أو الكراهية. وأما السلوك، فهو يفيد بالأفعال العدائية التي يتعامل من خلالها أطراف الصراع مع بعضهم الآخر.

وتفيد الرؤى، التي تناولت مفهوم الصراع الدولي، أن ثمة قاسم مشترك يجمع بينها، هو إدراكها لحصيلة هذا الصراع إدراكا يستوي ومضمون اللعبة الصفرية ((Zero-Sum-Game،التي قوامها أن الربح الذي يحققه أحد الأطراف لذاته يستوي والخسارة التي يتعين على الطرف الاخر تحملها. ومثالها الصراع الأمريكي - السوفيتي خلال فترة تفاقم حدة الحرب الباردة . بيد أن الصراعات الدولية، لا تقتصر على صراعات اللعبة الصفرية، وإنما تشمل أيضاً سواها، وخصوصا تلك التي تعبر عن مضمون اللعبة غير الصفرية Non-Zero-Sum-Game، أي تلك اللعبة التي لا تقوم على معادلة أما الربح أو الخسارة، وإنما على أساس الجمع بين الربح والخسارة معا. ومثالها صراعات دول في عالم الجنوب بعد انتهاء الحرب الباردة . ومما يساعد على ذلك أن هذه اللعبة تتأسس أصلا على أمكانية التعاون بين أطراف الصراع، ومن ثم تنازلها المتبادل، سبيلا لتسوية صراعهما سلميا .

وسواء كان الصراع يعبر عن هذه اللعبة أو تلك، إلا أن أطلاق تسمية الصراع الدولي، على ثمة موقف لا ينبغي أن يتم إلا بعد إدراك شروطه وخصائصه معا. وهذه تكمن عندنا في الاتي:

أولا، اندلاعه بين طرفين، بمعنى دولتين، في الآقل، جراء إدراكهما أن معطيات الواقع الموضوعي لعلاقتهما السائدة في وقت محدد تؤكد تناقض مصالحهما. وليس بالضرورة أن يكون هذا الإدراك دائم الحضور في الصراعات كافة. كذلك ليس بالضرورة بقاء الصراع محصورا بطرفيه الأصليين. فالصراع عندما يندلع، فإنه يدفع بأطرافه إلى توظيف الحلفاء والاصدقاء، أو تكوين تحالفات جديدة، دعما للقدرة الذاتية ضد الطرف الثاني، الخصم .

ثانيا، تأسسه على قاعدة التتابع السلوكي (بمعنى الفعل ورد الفعل)، ومن ثم على علاقة تفاعل منسق بين أطرافه، تُشكل الإرادة محورا أساسيا فيها. فالصراع في جوهره هو صراع للإرادات، وينجم عن تباين دوافع أطرافه، ومدركاتهم، وأهدافهم، وقدراتهم، مما يؤدي إلى اتخاذ قرارات وتبني سياسات تختلف فيما بينها أكثر مما تتفق.

ثالثا احتمال تصاعده إلى أما أسوأ الأسوأ، أي إلى الحرب، أو تراجعه إلى أحسن الأحسن، أي إلى التسوية السلمية.

رابعا، تذبذب مخرجاته بين أما الربح لاحد الأطراف والخسارة للطرف الثاني من ناحية، أو الربح والخسارة معا لجميع اطرافه من ناحية أخرى.

خامسا، أنه يعد ممارسة لتبادل النفوذ، بمعنى نزوع كل طرف إلى دعم مواقفه ومكانته على حساب الطرف الآخر عبر توظيف أدوات الترغيب والترهيب، ولاسيما تلك التي تعبر عن نوعية قدراته على الفعل المؤثر.

وفي ضوء ما تقدم، نفهم نحن الصراع الدولي بمعنى تلك العلاقة، التي تُعبر عن تفاعل منسق بين طرفين، بمعنى دولتين في الآقل، تتميز أنماط سلوكهما المعلن بنزوعها إلى تحقيق ثمة مصالح عليا، مادية و/أو قيمية، متناقضة، وذلك عبر أدوات تعكس نوعية قدراتهما المتاحة على الفعل، وبمخرجات قد تفضي أما إلى ربح أحداهما وخسارة الآخر، أو الى ربحهما وخسارتهما معا في آن.

وبالإضافة إلى لتعدد وتتنوع الرؤى بشأن مفهوم الصراع الدولي، كذلك تذهب أيضا العديد من الكتابات، ومنها العربية، إلى الاستخدام الخاطئ لثمة مفاهيم ذات مضامين مختلفة عن مفهوم الصراع الدولي للدلالة عليه، علما أن هذه المفاهيم تُعبر عن أوضاع أما تمهد لهذا الصراع في حالة تفاقمها، كالنزاع، والتوتر، والمنافسة، والآزمة، أو أما انها ناجمة أصلا عن الفشل في تسويته سلميا كالحرب. ولا يتسع المجال هنا لتناول مضامين هذه المفاهيم. مع ذلك تجدر الاشارة الى أن عدد من الباحثين يدعو إلى عدم الخلط بين مفهوم الصراع الدولي وهذه المفاهيم. ونحن نتبنى هذه الدعوة لصوابها علميا .

وعلى الرغم من أن الصراعات الدولية تكون من أنواع متعددة يتميز كل منها بخصوصيته الواضحة. بيد أن هذه الخصوصية لا تلغي أن ثمة قاسم مشترك مركب يجمع بين أنواع الصراعات كافة، يكمن في تماثلها على مستويين متفاعلين: أولهما، اقتران الصراع بمراحل متعاقبة تعبر بمجملها عن عملية دينامية تقترن بتفاعلات سلبية أو ايجابية ذات معالم واضحة، ومضامين متشابهة. أما المستوى الثاني، فهو أن التعامل مع الصراع يُعد حصيلة لأنماط من التفكير تفضي إلى الآخذ بإستراتيجيات محددة تعبر عن مضامين هذه الأنماط. في أدناه سنتناول أنماط التفكير في الصراع وأنواع الإستراتيجيات الناجمة عنها سبيلا لإدارته.

2. الصراع الدولي بعد انتهاء الحرب الباردة: التطور

لقد سبق القول أنَّ ظاهرة الصراع بمستوياتها المتعددة: الفرد مع ذاته، أو بين الأفراد، أو بين الجماعات الداخلية، أو بين الدول، ظاهرةٌ ممتدة عبر الزمان والمكان، ولسنا هنا بصدد استعراض تاريخ تطور مجمل مستويات

هذه الظاهرة، فاهتمامنا ينحصر هنا على تتبع تطور ظاهرة موضوعنا، أي الصراع الدولي بعد انتهاء الحرب الباردة، وفق معيارين: الأول، كمي /عددي، والثاني كيفي /نوعي .فبينما يذهب الأول إلى تتبع كمياً معدل ارتفاع أو انخفاض الخط البياني لهذه الظاهرة، ينصرف الثاني نوعياً إلى تناول أشكالها الراهنة. في ادناه سنتناول كل منهما:

1.2 المعيار الكمي للتطور

يفيد هذا المعيار أنَّ معدل اندلاع الصراع ما بين الدول (أي الصراع الدولي)، وتسويته أو فضه عبر استخدام القوة العسكرية، قد انخفض بعد انتهاء الحرب الباردة، بالمقارنة مع زمان ما قبلها، فمنذ عام 1989 حتى الآن اندلع (12) صراعاً دولياً لم تتصاعد سوى ثمانية منها إلى مستوى الحرب. وقد كان الصراع العسكري الإيراني-الإسرائيلي آخرها، بيد أنَّ عدم توظيف القوة العسكرية سبيلاً لفض الصراعات الدولية، ومن ثم تفضيل التسوية السلمية عبر المفاوضات لها، لا يعني أنَّ هذه الصراعات قد صارت ظاهرةً تنتمي إلى زمانٍ مضى، وبهذا الصدد يقول فالنشتاين: " ...من الصعب الجزم بما إذا كانت الصراعات الدولية قد أخذت منحنى متناقصاً أم لا". وبهذا الصدد نرى أنَّ الدول طالما ستستمر في السعي نحو تحقيق مصالح متناقضة، فإن هذا السعي سيجعل صراعاتها ممتدة زماناً بالضرورة، خصوصاً أنَّ الدول ولاسيما المؤثرة، عالمياً وإقليمياً، ستستمر بمثابة اللاعب الدولي الأكثر أهمية في مخرجات التفاعلات الدولية.

لذا، لنتذكر أنَّ الصراع الدولي ظاهرةً استمرت ممتدة عبر الزمان. فهذه الظاهرة قد تنكفئ جراء تأثير ثمة مدخلات مثلما حصل بعد انتهاء الحرب الباردة مثلاً، بيد أنها على الأرجح ستبقى تشكل أحد أضلاع السياسة الدولية، كما كانت دوماً، فالسياسة الدولية استمرت تتشكل عبر الزمان وفق ثلاثية مثلث: التعاون، التنافس، الصراع، لذا من غير المحتمل أن تتغير هذه الثلاثية في قادم الزمان، ومن ثم سيبقى الصراع لصيقا بالعلاقات بين الدول، ولنتذكر أنَّ مصالح الدول وإن تلتقي، ولكنها أيضاً تتصادم، وقد سبق، لمحمد حسنين هيكل، أن عبر وبدقة عن ديمومة هذه الظاهرة قائلاً: « ... لا يحق لنا أن نغفل لحظةً واحدة عن حقيقة أنَّ الصراع بين الأمم سوف يظل قائماً ودائماً حتى تتغير الدنيا وسكانها، فتصبح أرضها هي الجنة وناسها هم الملائكة، ولكن حتى يحدث ذلك فإنَّ صراعات المصالح والأمن تؤدي لا محالة إلى الحرب». وقد قيل أيضاً: « ...لا يمكن الادعاء بحدوث تغيير جذري لواقع ظاهرة الصراع في مرحلة ما بعد الحرب الباردة، فعلى الرغم من أنَّ الفواعل من غير الدول قد زادت من درجة اندماجها في ممارسة الصراع، ولكن هذا لا يعني أنَّ الدول لم تعد مرتبطة بالظاهرة (أي ظاهرة الصراع)...» وكذلك القول: « ...لا يوجد هناك ما يدفع إلى الاعتقاد أنها (أي الصراعات الدولية) ستتوقف كلياً».

وعليه نرى أنَّ القول الذي يفترض أنَّ الخصائص التي يتسم بها عالم اليوم لم تعد تسمح باندلاع الصراعات بين الدول، يتميز بتسرعه في الآقل، ومما يدعم ذلك أنَّ المرحلة الانتقالية التي اعقبت الانهيار السوفييتي في عام 1991، ومن ثم انتهاء الحرب الباردة، لم تقترن بخاصية المتاهة فحسب، وإنما شهدت كذلك استمرار الصراع ضمنياً أو صراحة بين بعض دول عالم الشمال وبعض دول عالم الجنوب، أو بين هذه الدول بنوعيها، هذا فضلا عن نمو الصراعات الداخلية ذات الأبعاد الدولية.

لذا مهما كان شكل الوحدة الإنسانية، التي تمارس الصراع ابتداءً من الفرد ذاته، مروراً بالجماعات الداخلية، وانتهاءً بالدولة القومية، فإنها تبقى محكومةً بقانون تاريخي هو قانون الصراع، لذا قيل: «أنَّ الأمر المؤكد هو أنَّ عالم المستقبل لن يكون عالماً بلا صراعات...» . ولنتذكر بهذا الصدد أنَّ المصالح التي تسعى الدول إلى إنجازها، والتي تشكل أساس وجودها، تتماثل في أحيان، ولكنها أيضا تختلف في أحيان أخرى، هذا جراء مدى تماثل أو تناقض هذه المصالح، ويشير الواقع الدولي إلى أنَّ تماثل أو اقتراب المصالح يفضي بالدول في العموم إلى التعاون، والعكس كذلك صحيح، فتناقض المصالح يحفزها على التنافس والصراع الدائم أيضاً، لذا ذهب الواقعيون الجدد The New Realists إلى القول: «أنَّ البنية الفوضوية للنظام الدولي ترفع من درجات عدم الثقة والشك بين الدول، ومن ثم من الحرب، التي استمرت إحدى السمات الدائمة للسياسة الدولية ". وجراء مخرجات هذه البنية الفوضوية ستبقى ظاهرة الصراع الدولي لصيقةً بالنظام الدولي، ولا يلغي هذا الواقع المرجح الزيادة الواضحة في عدد الصراعات الداخلية منذ نهاية الحرب الباردة صعودا. فضلا عن أن التطور الكمي أعلاه، والنوعي ادناه, اللذان مرت بهما هذه الظاهرة منذ نهاية الحرب الباردة يؤكد ديمومتها.

2.2 المعيار النوعي للتطور

يفيد هذا المعيار بنمطٍ من الصراعات التي لا تكون حكومات الدول أطرافها الأساسية، وإنما وحدات لا ينطبق عليها مفهوم الدولة، وعلى الرغم من أنَّ هذا النمط ليس جديداً كلياً في تكوينه، إلا أنه صار بعد انتهاء الحرب الباردة، لصيقاً أيضاً بظاهرة الصراع على المستوى الدولي، خصوصاً عندما تكون إحدى الدول طرفاً مباشراً أو غير مباشر فيه، ومما ساعد على هذا التطور النوعي ثمة متغيرات، منها مثلاً تآكل تلك الضوابط الدولية التي كانت تتحكم عموماً في السلوك السياسي الخارجي للدول، والتي أفضى إليها انهيار القطبية الدولية الثنائية، هذا فضلاً عن اتجاه العديد من دول عالم الجنوب إلى التفكك الداخلي، قومياً و/ أو دينياً، ومن ثم اندلاع الصراعات بين مكوناتها الاجتماعية، وهو الأمر الذي ساعد عليه عدم توافر هذه الدول على تلك المؤسسات الديموقراطية التي تعمد عادةً إلى تسوية الصراعات الداخلية لصالح ديمومة الاستقرار المجتمعي والسياسي في بلدانها، فضلاً عن التدخل الخارجي في هذه الصراعات دعماً لاحد أطرافها .

وتتوزع الوحدات من غير الدول ذات العلاقة بالصراع على المستوى الدولي، إلى أربعة أنواع:

○ فأما عن الأولى، فهي تلك الوحدات عابرة للحدود الدولية، التي تتوافر على بنية أساسية للقيادة، وتستخدم الأدوات الإكراهية ولاسيما القوة هنا وهناك؛ لتحقيق أهداف منشودة خاصة بها، ومثالها المنظمات الإرهابية عابرة الحدود الدولية.

○ وأما عن النوع الثاني، فهي تلك الوحدات /المنظمات المسلحة، وأبرزها المليشيات، التي تذهب ثمة دول إلى تكوينها لأغراض استخدامها خارجياً بالنيابة عنها خدمةً لأهداف منشودة من قبلها.

○ أما عن النوع الثالث، ويشمل تلك الوحدات المسلحة الداخلية، التي تكون من القوة بحيث تستطيع دفع حكومة إحدى الدول إلى الاستجابة لمطالبها، أو استخدام القوة العسكرية ضد الدولة المستضيفة.

○ وأما عن النوع الرابع، من هذه الوحدات/ المكونات من غير الدول، فهو يشمل المنظمات غير الحكومية، والتي زادت أهميتها منذ انتهاء الحرب الباردة جراء نوعية قدرتها على الحركة المشروعة، وعلى نحوٍ لا يمكن إلا للقليل من الوحدات المماثلة القيام به، ومثالها منظمة أطباء بلا حدود الفائزة بجائزة نوبل للسلام عام 1999، كما يؤكد بيتر فالنشتاين.

ويدخل ضمن التطور النوعي لظاهرة الصراع على الصعيد الدولي، بروز نمط جديد من الصراع، يسمى بالصراع غير التماثلي (Conflict Asymmetric)، ويُقصد به الصراع، الذي يدور بين حكومة إحدى الدول ومنظمة عقائدية، أو أثنية داخلية مناهضة للأولى، والذي يقترن بمحاولة كلٍ منهما إلحاق أفدح الخسائر بالطرف المقابل عبر أفعال محددة تختلف مضامينها تبعاً لمدى قدرة كلٍ منهما على الفعل، فبينما تقوم الأولى بعمليات ذات طابع إرهابي ضدَّ أهداف مدنية في العموم لأغراض إثارة الرعب المجتمعي وزعزعة الأمن الداخلي، ومن ثمَّ للضغط على الحكومة المعنية سبيلاً لأهداف منشودة من قبل هذه المنظمة، تقوم الحكومة بالمقابل بتلك الإجراءات التي يُراد بها تجريد هذه المنظمة الإرهابية من مصادر تأثيرها البشرية والمادية، سبيلاً لإنهاء وجودها لاحقاً.

بالإضافة إلى ما تقدم، شهدت نهاية الحرب الباردة تبلور اتجاه قوامه تدخل منظمة الأمم المتحدة، وعلى نحوٍ أوسع من السابق، في صراعات (حروب) دول عالم الجنوب، وبعناوين مختلفة كحماية حقوق الإنسان، والتدخل الإنساني، أو عمليات حفظ السلام وسواها. ■

*استاذ العلوم السياسية الدولية ودراسات المستقبلات

لكلِّ مقامٍ ...

عن حقيقة ما نراه وما نكون

في زمنٍ يتسارع فيه نبض الحياة إلى حدّ الإعصار، وتتوالى فيه الأحداث كفيضانٍ لا يترك مجالًا لالتقاط الأنفاس، يُصبحُ البحثُ عن صدًى الصمت فعلًا ثوريًا، دعوةً إلى استعادة التوازن، وإلى التوقّف لحظةً لالتقاط أنفاس الروح. العودة إلى الذاكرة، فهي أضحتْ ملاذًا، مرساةً، وربما آخر حصوننا في وجه طوفان النسيان الذي يتهددنا. إننا نعيش في عصرٍ يُحتفى فيه بالجديد، وتُطوى فيه صفحة الأمس قبل أن يجفّ حبرُها.

ليست الذاكرة مجرد سجلٍّ للأحداث، بل هي نسيجٌ معقدٌ من المشاعر، الروائح، الأصوات، واللحظات التي شكّلت ذواتنا وصقلت أرواحنا. إنها الكنز الحقيقي الذي نحمله في أعماقنا، والذي لا يمكن لسرعة الزمن أن تسلبه منا، ما دمنا نُمسك بخيوطه المتينة. إنها الذاكرة التي تمنح حياتنا العمق، وتضفي عليها المعنى، وتجعلنا ندرك أننا لسنا مجرد كائناتٍ عابرة، بل حلقاتٌ في سلسلة طويلة من الوجود.

في خضمّ هذا الصخبِ الرقمي الذي يُغرق حواسنا، بات من الضروري أن نُعيد اكتشاف قيمة التوقف، قيمة التأمل، وقيمة العودة إلى الذات من خلال بوابة الذاكرة. ليست هذه دعوة إلى العيش في الماضي، بل هي دعوة إلى استلهام دروسه، والاحتفاء بجماله، والبناء عليه لمستقبلٍ أكثر وعيًا وإنسانية، فمن لا يملك ذاكرةً، لا يملك هويةً.

إن التحدي الحقيقي الذي يواجه إنسان اليوم هو كيف يحافظ على هذه الشعلة الخافتة في زمنٍ يُراد لها أن تنطفئ. كيف نصون ذكرياتنا من التلاشي؟ الإجابة تكمن في إعادة إحياء طقوس التأمل، في تدوين الحكايات، وفي التخفّي خلف كل جمال يأفل.

ذاكرتنا هي بوصلتنا في هذا العالم المراوغ، إنها دعوةٌ إلى التبصّر، إلى استعادة العمق، وإلى الإيمان بأن أغنى ما نملك ليس ما نكتسبه، بل ما نحمله في قلوبنا وعقولنا.

في هذا الوجود الفسيح، تتجلى حكمةٌ عميقةٌ في ثنايا التناقضات، فتنسج منها لوحةً بديعةً تزخر بالمعنى والجمال. إنها ليست مجرد صراعٍ بين أضداد، بل هي رقصةٌ أزليةٌ بين النور والظلمة، السكون والحركة، القوة والضعف، تُولد منها الحياة بكل ما فيها من تعقيد وسحر.

هذا التناقض الظاهر هو في حقيقته تكاملٌ بديع. فالنور لا يُدرك قيمته إلا بوجود الظل الذي يُبرز معالمه. والقوة لا تُعرف إلا في مواجهة الضعف الذي يُفصح عن مدى صمودها. إنّ الإدراك، تلك العملية العجيبة التي يُترجم بها دماغنا الإشارات الحسية إلى معانٍ مفهومة، ليس مجرد انعكاسٍ سلبيٍّ لما هو كائن. إنه فعلٌ إبداعيٌّ، يتدخّل فيه الوعيُ تدخّلاً عميقًا، فيُنقّح ويُضيف ويُفسّر. فما يراه أحدهم نورًا ساطعًا، قد يراه الآخر وهجًا مؤذيًا، وما يسمعه أحدهم ضجيجًا مزعجًا، قد يكون للآخر سيمفونيةً أسرة. ■

ماجدة

كتابة وإعداد: ماجدة داغر . شاعرة وإعلامية لبنانية

المهرجان العربي للإذاعة والتلفزيون تحت شعار فضاء التلاقي والإبداع

■ نظم اتحاد إذاعات الدول العربية «الأسبو»، «المهرجان العربي للإذاعة والتلفزيون» في دورته الخامسة والعشرين، تحت شعار «فضاء التلاقي والإبداع». يهدف المهرجان إلى تعزيز الإبداع والتنافس المهني في مجالات الإذاعة والتلفزيون، واستضاف هذا العام فعالياته في فضاءات مميزة شملت مسرح قرطاج الأثري، مسرح أوبرا مدينة تونس، والمدينة المتوسطية ياسمين الحمامات.

أحيا حفل الافتتاح على مسرح قرطاج الأثري النجم التونسي صابر الرباعي في حفلة استثنائية تفاعل معها الجمهور العريض الذي ملأ مدرجات قرطاج.

تنافس 299 عملاً إذاعيًا وتلفزيونيًا على جوائز الدورة الـ25 للمهرجان وتوزعت الأعمال المُشاركة،على 145 إنتاجًا إذاعيًا و154 عملًا تلفزيونيًا، وتنقسم الإنتاجات الإذاعية إلى 109 أعمال ضمن المسابقة الرسمية و36 عملًا ضمن المسابقة الموازية.

وبلغ عدد الهيئات الإذاعية الأعضاء في اتحاد إذاعات الدول العربية، المشاركة في المسابقة الرئيسية 14 ، فيما شاركت 14 إذاعة خاصة ودولية ناطقة بالعربية في المسابقة الموازية.

أما الأعمال المشاركة في المسابقات التلفزيونية فتضمنت 107 أعمال في المسابقة الرسمية و47 عملًا في المسابقة الموازية. ومن بين المشاركين في مسابقات الأعمال التلفزيونية، 17 هيئة تلفزيونية عضوًا في اتحاد إذاعات الدول العربية، و9 قنوات فضائية، و20 شركة إنتاج.

د. لمياء محمود تتسلم جائزة صوت العرب.

ويسعى المهرجان إلى دعم الإنتاج الإذاعي والتلفزيوني العربي ليتماشى مع تحولات المشهد الإعلامي والفضاء الرقمي. ومن أبرز أهدافه النهوض بجودة المضامين وتوسيع قنوات التفاعل بين المهنيين وتشجيع التنافس الإبداعي النزيه بين البرامج والمبادرات الإعلامية والارتقاء بالذائقة الفنية وتعزيز الحس الثقافي والعلمي ودفع المنتجين نحو ابتكار مضامين تعبّر عن واقع المجتمعات العربية وتاريخها ومواكبتها للتحوّلات.

ويجمع المهرجان في رحابه كل سنة نخبة من صناع الصوت والصورة بمختلف اختصاصاتهم من مسؤولي هيئات الإذاعة والتلفزيون الأعضاء وشبكات وقنوات تلفزيونية وإذاعية خاصة ودولية. إضافة الى شركات الإنتاج والمحتوى، ووكالات الأنباء، ومنصات رقمية وممثلي اتحادات إقليمية ودولية وكوكبة من النجوم والإعلاميين والمكرّمين. وضم هذا العام لجان تحكيم متخصصة شاركت فيها الزميلة ماجدة داغر كمقررة لجنة تحكيم البرامج الموازية.

وإلى جانب المسابقات، شملت أجندة المهرجان أنشطة مهنية متنوعة، منها ندوات فكرية وورشات عمل متخصصة في الهندسة والبرمجيات. كما احتضن المهرجان معرض _الأسبو_ للإذاعة والتلفزيون، الذي يوفر مساحة مثالية لعرض أحدث الابتكارات والمستجدات في عالم التكنولوجيا الحديثة.

القائمة الطويلة لجائزة كتارا للرواية العربية

■ أعلنت المؤسسة العامة للحي الثقافي (كتارا)، عن قائمة الـ18 لأفضل الأعمال المشاركة في الدورة الـ 11 من «جائزة كتارا للرواية العربية» في فئات الروايات المنشورة وغير المنشورة، وروايات الفتيان، والرواية التاريخية، والدراسات النقدية. وضمّت كلّ قائمة من القوائم 18 عملاً مرشّحاً لنيل الجائزة.

جائزة كتارا للرواية العربية هي جائزة سنوية أطلقتها المؤسسة العامة للحي الثقافي - كتارا في بداية عام 2014، وتقوم المؤسسة بإدارتها وتوفير الدعم والمساندة والإشراف عليها بصورة كاملة من خلال لجنة لإدارة الجائزة تم تعيينها لهذا الغرض.وتهدف الجائزة إلى ترسيخ حضور الروايات العربية المتميزة عربياً وعالمياً، وإلى تشجيع وتقدير الروائيين العرب المبدعين للمضي قدماً نحو آفاق أرحب للإبداع والتميز، مما سيؤدي إلى رفع مستوى الاهتمام والإقبال على قراءة الرواية العربية وزيادة الوعي الثقافي والمعرفي. وتلتزم جائزة كتارا بالتمسك بقيم الاستقلالية، الشفافية والنزاهة خلال عملية اختيار المرشحين، كما تقوم بترجمة أعمال الفائزين إلى اللغة الإنجليزية والفرنسية، ونشر وتسويق الروايات غير المنشورة، وكذلك تفتح الجائزة باب المنافسة أمام دور النشر والروائيين على حد سواء. وتسعى لجعل جائزة كتارا للرواية العربية صرحاً لنشر الرواية العربية المتميزة، وأن تصبح كتارا منصة إبداعية جديدة في تاريخ الرواية العربية تنطلق بها نحو العالمية، وحافزاً دائماً لتعزيز الإبداع الروائي العربي ومواكبة الحركة الأدبية والثقافية العالمية، والإسهام عبر هذه الجائزة في التواصل الثقافي مع الآخر من خلال الترجمة إلى لغات أخرى.

وشملت فئة الروايات غير المنشورة روائيين من 10 دول، منها 5 روايات من مصر، و3 روايات من العراق، واشتركت المغرب وسوريا، بعدد روايتين لكلّ دولة، أما قائمة الـ18 لفئة الرواية المنشورة فضمّت روائيين من 10 دول عربية، منها 6 روايات من مصر، وروايتان لكلّ من المغرب، وتونس، وفلسطين، بالإضافة إلى ترشيح رواية واحدة من كلّ من: سلطنة عمان، وسوريا، والعراق، واليمن، والكويت، والجزائر.

ملصق الجائزة.

واشتملت فئة الدراسات النقدية على نقّاد من 6 دول عربية، منها 7 من مصر، و6 من المغرب، ودراستان من الأردن، ودراسة واحدة لكلّ من: السعودية، والجزائر، وسوريا.

وبالنسبة لفئة روايات الفتيان فاشتملت على روائيين من 6 دول عربية، حيث جاء الروائيون المصريون في مقدّمة المرشّحين بواقع 6 مرشّحين ضمن قائمة الـ 18، واشتركت كلّ من تونس، والمغرب والجزائر بعدد 3 روايات لكلّ دولة.

الجمالية في الفكر الأندلسي

الجمالية في الفكر الأندلسي

■ ليست الأندلس مجرد ماضٍ نحنّ إليه، بل أفق يتّسع لأسئلة المعنى، وساحة تتقاطع فيها الفلسفة بالفن، والتصوف بالخيال. على هذا التصور، يبنى كتاب «الجمالية في الفكر الأندلسي» من تأليف المستعرب الأسباني خوسيه ميغيل بويرتا بيلتشيز، وترجمة الباحث جعفر العلوني. يمضي الكتاب الصادر حديثاً عن (مؤسسة الفكر العربي)، في قراءة جديدة للفكر الجمالي العربي من خلال تجربة الأندلس، مستعرضاً أفكار أعلام كبار كابن حزم، وابن طفيل، وابن رشد، وابن عربي، وابن خلدون، ومبرزاً كيف تجاوزوا الموروث ليؤسسوا تصورات غير مألوفة عن الجمال والمعرفة والحضور الإنساني. في إطار سعي المؤسّسة إلى تسليط الضوء على التراث العربيّ من منظور فكريّ وجماليّ حديث.

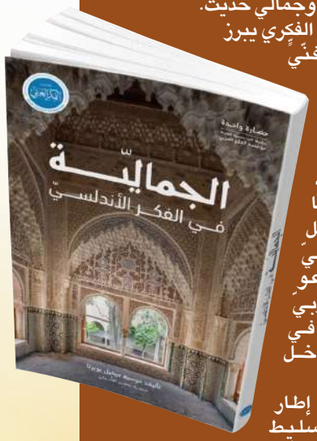

في قلب هذا المشروع الفكري يبرز قصر الحمراء لا كأثرٍ فنّي فحسب، بل كمعمارٍ للروح ومجالٍ حيٍّ لما يسمّيه المؤلّف "جماليّة المطلق"، حيث تلتقي الصورة بالكلمة، ويصبح التأمّل طريقًا للفهم. إصدارٌ يعيد وصل الفكر العربيّ الكلاسيكيّ بأسئلة الحاضر، ويدعو القارئ العربيّ والغربيّ معًا إلى إعادة النظر في مكانة الجمال داخل الحضارة الإسلامية.

يأتي هذا الكتاب في إطار سعي المؤسّسة إلى تسليط الضوء على التراث العربيّ من منظورٍ فكريّ وجماليّ حديث، وهو ثمرة أكثر من ثلاثين عامًا من البحث في الفكر والفنّ الإسلاميّين، أمضاها المؤلّف في تتبّع إرث قصر الحمراء، واستكشاف معالم الجماليّة العربيّة الإسلاميّة التي لطالما تمّ تهميشها في الأوساط الأكاديميّة الغربيّة.

يضمّ الكتاب مجموعةً من الدراسات التي تتناول تطوّر الجماليّات في الفكر الأندلسيّ، من خلال أعمال أعلام الأندلس، ويطرح المؤلّف مقاربةً ترابط بين البُعدين الأخلاقيّ والتعليميّ في الشعر والفنون، كما يتعمّق في صوفيّة ابن عربي ورؤيته عن الجمال والحبّ الكونيّ، حيث يحتلّ الخيال مكانةً مركزيّة.

يتناول الكتاب كذلك مفاهيم الجمال في نتاج ابن الخطيب وغيره من الأدباء في آخر مملكة أندلسيّة، ويولي اهتمامًا خاصًا لقصر الحمراء، باعتباره نموذجًا حيًا لما يسمّيه المؤلّف "جماليّة المُطلَق"، حيث تنصهر الكلمة بالصورة، والواقع بالروح، والإنسان بالخالق. ويشدّد بويرتا في هذا العمل على خصوصيّة التجربة الأندلسيّة داخل الحضارة الإسلاميّة، ويدعو إلى إعادة قراءة الفكر العربيّ الكلاسيكيّ كرافدٍ مؤسّسٍ للفكر الجماليّ العالميّ.

يدعو هذا الإصدار القارئ العربيّ والغربيّ على حدٍ سواء، إلى إعادة اكتشاف الأندلس، لا بوصفها ماضياً مجيداً فحسب، بل كمختبرٍ حيٍّ لأفكار الحداثة والجمال.

محمد ناصرالدين شاعرٌ ومترجمٌ... خَليلتُه اللغة

سوريا ـ فاطما خضر*

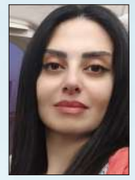

ماذا لو استبدلنا بالعبارة القائلة »لكلّ امرئٍ من اسمه نَصيبٌ« عبارةُ »لكلّ امرئٍ من قريته، وما تطلّ عليه نَصيبٌ«!

فمن قرية »سُجد« التي استعارت اسمَها من الخشوع في حضرة الله، فاستلقت على أعالي قمّة جبل الريحان تُناجي الخالق، مطلّةً على إقليم التفاح ومناطق واسعة من الجنوب اللبنانيّ، والجولان السوريّ المُحتلّ، والجليل الأعلى في فلسطين المحتلّة؛ جاء الشاعر محمد ناصر الدين، مُمسكًا بحفنة ضوء، نفخ فيها وقال »كوني!«، فكانت قصائده التي اتّسعت لها تسعُ مجموعات شعريّة. استمدّ مفرداتها من بيئة الجنوب وطبيعته، ومن المقاومة، والأساطير، والقرآن الكريم، والحبّ الذي وجد فيه قوّةً تُحيي ما تمسُّه.

في حضرة الشعر، تارةً يُناجي الله: »أيّها الربُّ العظيمُ/ حين تتطاير الأجسادُ نحوك في الانفجار/ أعدها إلى الأرض/ مثل كرة ترتطم بالعارضة/ ثمّة متفرجون كُثُرٌ هُنا«. وتارةً يُناجي الجمال، ليختزله بتكثيف يجمع ليلَ القرية والقمرَ وشهداءَ المقاومة وطبيعةَ الجنوب ووجه أمّه »نورا«: »يكون القمر خَشنًا/ حتّى يمرّ في الصيف فوق قريتنا/ يرتدي وجهًا زهريًّا مثل الخجل/ يُمسكه فرسانٌ دُفنوا فوق جيادهم من يده/ يدبك على منجيرة الراعي/ ويروّض الوحوش في الوادي/ ولئلّا يموت عند أوّل الصبح/ يسيلُ فضّةً على وجه أمّي«. يخبرنا بمفارقة مذهلة أنّ الرحمة تقتل البشاعة والحروب والانقسامات: »في قلبي إلهٌ صغيرٌ/ يملك سهمًا اسمُه الرحمة/ يكسر الآلهة المُحاربة«.

ولأنّ اللغة خَليلتُه، لم تقتصر شعرًا، بل امتدّت لتشملَ عشرات المقالات الأدبيّة والتحقيقات والحوارات، واتّسعت أكثر لتلامس ميدان الترجمة.

في هذا الحوار، نُبحر معه في سماء لغته العالية:

● »الحصاد«: يكفي أن يُذكر اسم »مرسيا إلياد« ليكونَ القارئُ أمام وجبة معرفيّة غنيّة للعقل والروح. فـ»إلياد« من أبرز مؤرّخي الأديان الرومانيّين، وفي كتابه »حدّادون وخيميائيون« قدّم رؤيةً ثوريّةً لتاريخ الأديان، من خلال تحليل الممارسات الرمزيّة للحدّادين والخيميائيّين في الحضارات القديمة. هل وجدت نفسك أمام مخاطرة حقيقيّة عند بَدء مشوارك في الترجمة، بترجمة كتاب يُدرَّس في سياقات أنثروبولوجيا الأديان، وتاريخ العلوم، وفلسفة المادة لأحد عمالقة مؤرّخي الأديان؛ خاصّةً وأنّه استخدم فيه لغةً غنيّةً بالرموز، مستنداً إلى نصوص تاريخيّة؟

○ محمد ناصر الدين: بالفعل وجدت نفسي أمام مجازفة تشبه رحلات أولئك الملّاحين والمستكشفين القدامى إلى قارّات وأراض مجهولة. لكنّها مجازفةٌ ممزوجةٌ بالمتعة، وبما يقوله إلياد نفسه: أن يمسّنا العمل المكتوب بحجر المعرفة، فيحوّلنا من الداخل أثناء رحلتنا معه. أترجم فأضيء. خاصّةً إذا أدركنا مكانة إلياد على الخريطة الثقافيّة في بلاده الأصلية التي »في لحمها تسيل بيزنطة وتتسكّع مرّةً في أوروبا ومرّةً في الشرق؛ ثمّ في البلد الوجهة فرنسا، حيث شكّل هو وإميل سيوران وتريستان تزارا ثالوثًا فريدًا في الفلسفة والشعر وعلم الأديان. هجر هؤلاء الثلاثة لغتهم الأصلية وكتبوا بالفرنسية، كانوا يكتبون لغةً فوق اللغة، ما يُعيدنا إلى تعريف الترجمة في أساسها، ومقولة دولوز أنّ النصّ الجيد هو ما يبدو للوهلة الأولى مكتوبًا بلغة أجنبية. أخذني إلياد من يدي إلى عالمه، وكأنّ الخيمياء التي تحدّث عنها في نصوصه حوّلت هذه الترجمة إلى رحلة روحيّة أكثر من كونها عملًا احترافيًا.

● »الحصاد«: بعد قراءتي الكتاب، وجدت أنّ لغتك كمترجم نجحت بأن تكون لغةً شعريّةً تُحافظ في الوقت ذاته على تعقيدات النص الفلسفيّة، مع هوامشَ توضيحيّة أضفتها للقارئ. حدّثنا عن بعض الصعوبات التي واجهتك في ترجمة كتاب يبحث في التشابك بين الأساطير والطقوس عبر ثقافات متعدّدة، ليُظهر أن الحدادة والخيمياء تجسّدان رؤيةً كونيّةً موحّدةً تربط بين الإنسان والطبيعة والسماء؟

○ محمد ناصر الدين: بالفعل كانت الصعوبة أوّلًا في الإمساك بمعجم المصطلحات عند إلياد، ومن ثمّ بأرخبيلات اهتماماته المعرفيّة المتصلة بالعالم الروحاني عند الإنسان من الأديان والشامانيّة واليوغا والخيمياء، وعدم التقليل منهجيًا من أيّة فكرة ومصقولة، كتلك السيوف التي تحدّث عنها إلياد في كتابه. إنّها القدرة على الخلق التي أشرت إليها في القصيدة، وكأنّما الشعرَ هو الخيمياء والحدادة وكلّ قدرة على الخلق، يبدأ حيث تنتهي الأديان والفلسفة والأساطير: يكتب نصًا فوق النصّ، ويأخذنا إلى يومه السابع.

● »الحصاد«: يجعل البناء غيرُ الخطّيّ لرواية »المأدبة السنويّة لأخويّة حفّاري القبور« منها روايةً عاشقًا وناشطًا بيئيًا مقاومًا للعولمة.

ساعدتني سنوات إقامتي في فرنسا، وإلمامي بالكثير من خصوصيّات اللغة والثقافة الفرنسيّة في ترجمة هذا العمل، الذي أرى أنّه لم يأخذ حقّه، على الأقل في دراسة الأسلوب الروائيّ العبقري، وإمكانيّة الاستفادة منه في فتح آفاق للرواية العربيّة.

● »الحصاد«: بروفيسور الفيزياء الطبيّة محمد ناصر الدين إلى جانب الشعر والترجمة يعشق لعبَ الورق. ترجمت الرموز المطبوعة على ورق اللعب إلى لغة شعريّة في قصيدتك »لعب الورق في ليل القرية الطويل«. وشاءت المصادفة أن يرد في رواية إينار المذكورة رسومٌ توضيحيّةٌ تشرح جلسة لعبة ورق اسمها »البلّوت«. هل تحيّزت في ترجمتك إلى الصفحات التي تتضمّن هذه الجلسة؟ وما وجه الشبه بين ليل »سُجد« في جبل الريحان الوارد في قصيدتك، وليل الريف الفرنسي في منطقة »نيور« (مسقط رأس إينار) الذي ابتدع فيه شخصيّات روايته؟

○ محمد ناصر الدين: الليل الجنوبيُّ عميقٌ، ونحن نُغلبه أبًا عن جدّ بلَعب الورق. تروقُني هذه الجملة كثيرًا لأصف قريتي الجنوبيّة »سُجدُ المنسيّةُ« في أعالي جبل الريحان، ووجدت إينار في روايته يحيل إلى لعبة ورق في مقهى تلك المدينة البعيدة، وكأنّ الملل يبعث على مداواته بالمؤانسة. كان عليّ أن أتعلّم لعبةَ »البلّوت« التي فرد لها إينار صفحات كاملة، وأستفتي الخبراء في قريتي عنها، ونُهلت أنّها كانت تُلعب هُناك في ثمانينيات القرن الماضي، وأنّ أبي كان أحد أبطالها. أخاف على القرية اليوم – كما أقول في القصيدة– من أن يختفي اللاعب الرابع في الورق، أن تقتله الحرب، أو يُغيبه عن المؤانسة التطرّفُ الدينيّ، فننام مثل أيتام الحظّ والكلمات في ليل القرية الطويل.

● »الحصاد«: كيف توفّق في وقت واحد بين: الفيزياء الطبيّة، والكتابة الصحافيّة، والترجمة، والشعر؟ من أين تقترض الوقت لتُحيط بهذه المجالات الأربعة إحاطةً ناجحةً؟

○ محمد ناصر الدين: الخيط الجامع لهذه المجالات الأربعة هو الشغف والحبّ. ربما تكون الفيزياء الطبيّة هي المهنة التي أزاولُها بحكم الدراسة والتخصّص العلميّ، لكنّي سرعان ما وجدت رباطًا يربطها بالشعر، حين يسألان الأسئلة ذاتها، ويحاولان معًا أخذنا في رحلتهما بين العالم الأصغر والعالم الأكبر في مقولة عليّ بن أبي طالب (وتزعُمُ أنّك جرمٌ صغيرٌ وفيك انطوى العالمُ الأكبر). الشغفُ بالكلمات واللغة ونَشأتي بين الكتب الفرنسيّة والعربية في بيت أهلي، ثمّ سفري إلى فرنسا جعلاني بطبيعة الحال أقترب من عالم الترجمة ثمّ أخطو فيه بتؤدة ومتعة. أمّا الشعرُ، فهو فئة دمي الأصيلة، رغم أنّي أشعر أحيانًا أنّه يختفي من روحي، مثل تلك الجداول التي تغور في وادي قريتي، وأحيانًا يُعيدها الربيع.

● »الحصاد«: تقول في إحدى قصائدك »رغم أنّ الشمس/ لا تطلع إلّا لأجلها/ والسماء باعدت الغيوم/ لتصنع لها كرنفالًا من العصافير/ والهواء ربّت على ساقها/ أبَت الوردة إلّا الموت/ قُل شيئًا أيّها الحبّ«. هل حقًا يُحيي الحبُّ العظامَ وهي رَميمٌ؟ أم هذا مجازٌ شعريٌ وحسب؟

○ محمد ناصر الدين: يقول الفيلسوف الفرنسي رولان بارت: »كان على المسيح أن يحبّ اليعازرَ لكي يُحييَه«. الحبُّ حتّى في المجاز الشعريّ هو حجرُ الخيمياء الذي يُحيي الروحَ. لكن حذارِ! أحيانًا، قد يكون ذلك السيفُ اللامعُ المصقولُ الذي ينغرزُ في قلبها!. ■

*كاتبة ومترجمة

> **الشعرُ هو فئة دمي الأصيلة رغم إني أشعر أحيانًا أنّه يختفي من روحي مثل تلك الجداول التي تغور في وادي قريتي**

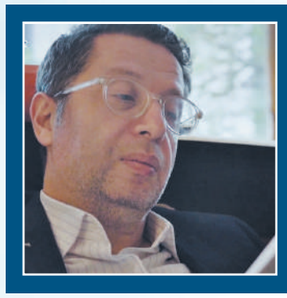

القاص والأديب والمسرحي
محمد ربيع الغامدي لـ«الحصاد»:

ذكرى حكايات الأجداد دعتني للتدوين ونقل التراث الشعبي للأجيال

بيروت: رنا خير الدين*

لطالما انجذب القاص والكاتب السعودي د. محمد ربيع الغامدي إلى عالم المفردات والدلالات اللغوية في لغتنا العربية، وأعطى اهتماماً خاصاً للمصطلحات الواردة في المعاجم والكتب القديمة والأساطير، ما زاده شعوراً بالمسؤولية تجاه تراث اللغة وحكايات الأجداد من جهة وتجاه الحفاظ على موروثات الثقافة والأدب للأجيال القادمة، باعتبار ذلك من واجبات القاص والأديب الملتزم برسالته الثقافية التي اتخذها على عاتقه منذ دخوله في معترك القصص والسرد والكتب.

في مجموعاته القصصية الاثنتي عشر، طرح قضايا مدينته الباحة حكاياتها وموروثاتها، التي لطالما شجّعته على الكتابة، وكانت أول مجموعة قصصية له عام 1986.

من سمات اللغة العربية أنها تربط الحاضر بالماضي والمستقبل، رغم الإشكاليات التي طرأت بفعل التكنولوجيا وعوامل التطور، إلا أن المدرك الحقيقي أن قوة هذه اللغة يكمن أولاً بقدرتها على الثبات وقد أثبت التاريخ ذلك، وثانياً، إصرار الكتّاب والأدباء على الحفاظ عليها من خلال الوثائق والكتب، الأمر الذي قام به الغامدي طيلة مسيرته الثقافية.

اهتمامه بالمسرح، لا ينفصل عنه، فيعتبره أبو الفنون لذلك أشرف على الفنون المسرحية في المسرح المدرسي في منطقة الباحة ولاحقاً بعد انتقاله إلى جدة. فهو الذي سحره المسرح، وقاده إلى أن يكون كاتباً مسرحياً حياً على مواقف متربّصاً للإبداع من منافذ الترفيه.

اهتمامات القاص محمد الغامدي لم تقف عن هذا الحدّ، فقد كان مهتماً بالتاريخ المحلي للباحة وجغرافيتها، والموروثات الشعبية وآلياتها. اذ يفصل بين كتابة القصة والكتابة المسرحية، على أنهما يحتاجان فهماً عميقاً للسرد، فالقصة هي أن تروي الفعل بينما الكتابة المسرحية تقوم على المشاهد والحوار، وكلاهما يحتاجان إلى العناية، والابتكار.

● «الحصاد»: تحمل فترة البدايات الكثير من الذكريات والتجارب. كيف تصف فترة البداية مع عالم الثقافة والكتابة؟

○ محمد ربيع الغامدي: البداية كانت مع القراءة، ودهشة المدوّن في الأوراق. ولقد كنت أستمع إلى أبي وهو يقرأ من المصحف أو يقرأ في سيرة عنترة ثم، اذا خرج،أتناول المصحف وأقلّبه بين يدي لأعرف سرّ العلاقة بينه وبين أبي. وعندما دخلت المدرسة تعلّمت القراءة بصورة أسرع حتى أتقنتها من السنة الأولى واعتمد علي أهل قريتي في قراءة رسائلهم ثم كتابتها عند الرد. هذه الحالة علّمتني كم تحمّل الأوراق المكتوبة من أسرار وكم يستطيع القلم أن يودع فيها من الأسرار.

لقد قرأت في طفولتي كثيراً من القصص وفي مقدّمتها قصص المرحوم كامل كيلاني. ثم كبرت فشدّت انتباهي قصص المغامرات والقصص البوليسية والقصص المصوّرة ثم السير الشعبية وكنا نتناوب قراءتها، أبي وأنا. وأتذكر أننا أمضينا قرابة العام حتى أتممنا سيرة الأميرة ذات الهمة بمجلداتها الثمانية. أما الكتابة الجادة فقد تأخرت في تجربتها حتى نهاية المرحلة الثانوية وخلال مرحلة الجامعة. غير أن النشر قد تأخر حتى عام 1983 وطبعت أول مجموعة قصصية في عام 1986.

كانت تلك مجموعة "المفازة" وقد كرهتها فأقدمت على إحراقها لما في ترتيبها وإخراجها من عيوب. وها أنا الآن أعيد طباعتها بعد أن وجدت نسخاً منها متلافياً ما كان فيها من عيوب طباعية.

● «الحصاد»: لطالما حملت على عاتقك رسالة في الحفاظ على الإرث ونقله. هل شكّل ذلك مسؤولية وثقة في أن عليك، كونك قاص وأديب؟

○ محمد ربيع الغامدي: الكتابة مسؤولية كبيرة، والتدوين مسؤولية كبيرة، والتوثيق أبو المسؤوليات جميعاً. والحفاظ على الإرث فيه كتابة وفيه تدوين وفيه توثيق. فالإرث جزء من تاريخ الناس وشريحة من حياتهم ومن الضروري جداً نقله للأجيال، فكيف لا يكون التعامل معه مسؤولية كبيرة؟

● «الحصاد»: ما هي المسؤولية التي تترتّب على الكتّاب والأدباء في زماننا الحالي؟

○ محمد ربيع الغامدي: سواء كتبوا للفن، أم كتبوا للحياة فهم أصحاب رسالة صادقة، في تلك الرسالة من الضروري تحمّل المسؤولية. سواء كتبوا للفنّ أم للحياة فهم معنيون بترقية الفنّ والحياة إلى مدارج أعلى، وهم معنيون بالسلم الثقافي والمجتمعي فالتخريب تنصل من المسؤولية. الأدباء والكتّاب وعموم المشتغلين بالثقافة هم الصفوة والقدوة والمثال فيما هو أبعد وأعمق مما تدركه الأبصار.

● «الحصاد»: ماذا تعني لك بلدتك، الباحة. وهل كان لها دورٌ في اتجاهك الفني والثقافي وشغفك بالعلم؟

○ محمد ربيع الغامدي: هي مسقط الرأس وملاعب الصبا وإن كنت قد راوحت بينها وبين الطائف المجاورة لها ولعلّ تلك المراوحة قد أفادتني كثيراً، القرية كانت تلقائية وكريمة معي بطبيعتها وأهلها، والطائف وضعتني في قلب تباين مختلف جداً.

● «الحصاد»: جذبتك أساطير الباحة وحكاياتها الشعبية وظهر ذلك من خلال كتاب ذاكرة الفواجع المنسية. لمن توجّهت بها؟ وهل برأيك تتشابه تلك الحكايات مع واقعنا؟

○ محمد ربيع الغامدي: تلك الحكايات سمعتها في صغري فكان خطابها لي، وعندما اشتد ساعدي نازعتني نفسي إليها فدعتني ذكراها إلى تدوينها وقد هالني إقبال الجيل عليها رغم عدم ارتباطها بذكرياتهم الشخصية. قد تتشابه أحياناً مع واقعنا وقد تختلف وعموماً فهي تشكّل واقعاً موازياً تتقبّله المخيّلة وتجد فيه ما يرضي وما يعلم وما يظهر، وهي تعطي صورة عامة مشابهة للمستقبل، لأنها انبثقت من حكايات، أبطالها الناس والأهالي والمنازل.

● «الحصاد»: في الأسلوب القصصي، تعتمد على البساطة مع الفهم العميق للفكرة باستخدام البعد الإنساني والاجتماعي والنفسي لأي مكوّن في قصتك. برأيك، ما الذي يجعل القصة قريبة من ذائقة القارئ؟

○ محمد ربيع الغامدي: لو كنت أعلم ذلك لكتبت أعظم القصص، ولكني أعتقد أن ملامسة الهم الإنساني والحفر عميقاً في تجارب الحياة يقترب بالنصوص كثيراً من وعي القارئ فالنصوص الجيدة يعنيها كثيراً وعي القارئ وفهمه ومدى إدراكه.

● «الحصاد»: شغفك بالفنون والثقافة، جعل من حضورك جميلاً تنشر الجمال أينما حللت، أهذه صفة برأيك على المثقفين أن يتمتعوا بها؟

○ محمد ربيع الغامدي: نعم، تلك صفة مثلى وطموح مستحب لعموم المشتغلين على الثقافة ولكني لا أعتقد أن الشغف وحده يقود لتلك الحالة ما لم يتفيأ ظلال النوايا البيضاء. أقول قولي هذا وأتمنى أن أحظى بذلك القبول الذي تحدثت عنه.

د. الغامدي أثناء تسلّمه جائزة راشد بن حميد للثقافة والعلوم من حاكم عجمان الشيخ حميد بن راشد

● «الحصاد»: بالانتقال للمسرح، ما الذي يشغل بالك كمسرحي اليوم؟

○ محمد ربيع الغامدي: أن يبقى شاباً رغم أنه من المعمرين، ويدخل كل حي وكل قرية، وأن يكون جزءا من روتين الحياة اليومي.

● «الحصاد»: إن أردت منك عنواناً لمسرحية تلخّص واقعنا الحالي ماذا تختار؟

○ محمد ربيع الغامدي: دُنْيا دَبْدُقَا" وهذه مفردة من دفتر المفردات السودانية. دبنقا هي وعاء شبه كروي يصنع من ثمرة الدباء (القرع) ويستخدم لنقل ماء الشرب ولحفظ البذور أحياناً. والمعنى أنه عالم عجيب يشبه ثمرة الدباء (القرع)!

● «الحصاد»: كيف ترى أفق المسرح في المملكة؟

○ محمد ربيع الغامدي: أفق يحمل كل البشارات الطيبة للمسرح، لقد كان المسرح موزّعاً بين أكثر من جهة فكان الاهتمام به آنيا فقط، الآن أصبح له هيئة تخطط له علمياً والهيئة تتبع وزارة وقد رأينا ثمار ذلك في مهرجانين للمسرح، وفي حزمة كبيرة من التدابير والفعاليات التي تشعرنا بالغبطة والرضا.

● «الحصاد»: ما الغرض الذي لا تستغنِ عنه في مكتبتك؟

○ محمد ربيع الغامدي: المجلات ودوائر المعارف. فالمجلات تأتي بالجديد الذي لا تأتي به الكتب، ودوائر المعارف تأتي بالمعلومة وتضعها على راحة يد.

● «الحصاد»: بما تصف عمل الفنون والثقافة اليوم في المملكة بشكل عام؟

○ محمد ربيع الغامدي: وزارة الثقافة (وهي معنية من خلال هيئات الثقافة والفنون التي تتبعها) تقوم بالتكريس للمفهوم الشامل للثقافة من عوالم الأدب والنشر إلى ملاعب الفنّ إلى جماليات العمارة إلى إبداعات المطبخ.

عمل الفنون والثقافة في المملكة اليوم عبارة عن ورشة كبرى سُخّرت لها كل الإمكانيات من جوائز وميزانيات ومعتزلات ومسرعات .

● «الحصاد»: هل من شيء قد يدفعك للتوقف عن الكتابة؟

○ محمد ربيع الغامدي: نعم، الموت وحده من يسلب من القلب نبضه ومن الكائنات حركتها.

● «الحصاد»: هل من أعمال مستقبلية؟

○ محمد ربيع الغامدي:أنا عالق الآن في نص مسرحي من مسرح المونو دراما عنوانه "الهارب" وآمل الخروج منه قريباً. وقبل ذلك وبعده آمل أن استكمل مشروع الطبعات المحدثة لكلّ كتبي. ■

* كاتبة وصحافية

محمد ربيع الغامدي في أسطر

○ ولد د. محمد ربيع الغامدي عام 1955.

○ فاز بالمركز الأول في مجال القصة في جائزة راشد بن حميد للثقافة والعلوم بعجمان في دورتها السادسة والثلاثين لعام 2018.

○ تعلّم في مدارس مدينتي الباحة والطائف ومدارس دار التوحيد بالطائف، تخرج في كلية التربية بمكة المكرمة عام 1976 متخصصاً في الجغرافيا، عمل معلماً فمشرفاً تربوياً ثم تفرغ لمكتب الاستشارات التربوية المرخّص رسمياً، يكتب القصة والمسرحية والتمثيلية الإذاعية وله العديد من المقالات العامة والمحاضرات التي تناولت التربية والتعليم والمسرح المدرسي والموروث الشعبي والسير الشعبية العربية، وشارك بأوراق عمل في ملتقيات محلية وعربية، وأخيراً كتب سيناريو وحوار وقصة البرنامج التمثيلي مواقف لصالح الإذاعة السعودية.

○ من مجموعاته القصصية: «مفردات الموروث الشعبي في منطقة الباحة»، «ذاكرة الفواجع المنسية»، «البرطأونات»، «الثوب الحنبصي»، «النملة والسكر».

○ من المسرحيات: «بائعة الورد»، «الريشة والسهم»، «مراثي الخلود»، «اليوم الأبيض»، «راقص مفازة» و«الشجرة والأرض» وغيرها.

هل يشوّه الفلاسفة الأوهام لتحويلها إلى حقائق؟

قراءة في فلسفة باشلار

اليمن ـ لطيفة حسيب القاضي*

إن الفلسفة التي تهدف إلى فضح الأوهام والقضاء على التشويهات التي تلحق بالإنسان في المجتمع، تجد أنها هي أيضًا قد تصبح نوعًا من التشويه الذي يحوّل الأوهام إلى حقائق. كما تكتشف أنه إذا ظلت مجرد وجهة نظر، فإنها ستبقى عاجزة، ليس عن فضح تلك الأوهام وانتقادها، وإنما عن القضاء الفعلي على ذلك التشويه.

إذا أردنا أن نتخلى عن الأوهام المتعلقة بوضعنا، فهذا يعني أننا يجب أن نتخلى عن وضع يحتاج أساسًا إلى تلك الأوهام. وهكذا، تصبح الفلسفة تأويلًا للعالم ولغته، وليست مجرد تأويل لتأويل، فلا تسهم الفلسفة في تغيير العالم، وإنما تسعى لتغيير تفسير العالم.

الشعر هو فن يعتمد على الكلام المنظوم وفق وزن دقيق، مما يضفي عليه طابعًا جماليًا. أما فلسفة العلم، فهي مصطلح حديث يهتم بالبحث في الأصول والمبادئ والفروض التي يقوم عليها العلم.

ورغم الاختلاف بينهما، إلا أن هناك علاقة تجمع بين الفلسفة والشعر؛ فالفلسفة هي أم العلوم وكل التخصصات، سواء العلمية أو الفنية.

وهذا الاختلاف بين فلسفة العلم والشعر يجعل من الصعب إيجاد باحث متخصص في كلا المجالين، لأن لكل منهما أدواته الخاصة. ويبقى الجسر الذي يربط بينهما هو القدرة على توصيف الحالة الإنسانية.

غاستون باشلار من أبرز فلاسفة العلم في العصر الحديث، إلى جانب كونه عالمًا فيزيائيًا وإبستمولوجيًا، فقد كان أيضًا شاعرًا مهتمًا بالأدب، حيث يظهر حسّه الشعري العالي في كتاباته، التي تتسم بنزعته الجمالية. فهو من الفلاسفة الذين انبهروا بالشعر وجعلوا منه مادة لبحثهم وتأملهم، حتى أصبح الخيال عنصرًا جوهريًا في مشروعه الفلسفي والعلمي والجمالي.

باشلار رجل عبقري، تتسم حياته بتميز واضح، وعقله باليقظة الدائمة. كان متواضعًا لدرجة أن قلائل من معارفه يتذكرونه في شبابه. بدأ مسيرته ببطء من وظائف حكومية صغيرة، حتى وصل إلى أستاذ الفلسفة في جامعة السوربون.

سيبقى باشلار ذكرى خالدة لكل من عرفه وعاصره. كان ذلك الشيخ الحكيم ذو اللهجة الريفية الواضحة، محبوبًا بين طلابه، وقد كرّس حياته لهم بتفانٍ منقطع النظير. لم يكن يختلطُ كثيرًا بأقرانه، أما في حياته الخاصة، فكان جيرانه يتذكرونه باعتباره العجوز الذي كان يحب شراء اللحم والسمك بنفسه.

تلقى باشلار تعليمه الجامعي وحصل على كل الدرجات الجامعية ليصبح في النهاية أستاذًا في الجامعة. كان خلّاقًا ومبدعًا في فرنسا، ولم يترك لنفسه أي فرصة للخضوع للثقافة التقليدية التي تخضع لها الجامعة، أو أن يحصر نفسه في أساليب أكاديمية جامعية مؤطّرة بمنظومة الجامعة. بل كان متجاوزًا لكل هذه الأساليب التدريبية. فقد جعل تفوّقه العقلي منه مشروعًا تنويريًا في كل مشاريعه الأكاديمية. وفي الوقت نفسه، كان مبدعًا في انتقاء موضوعاته وطرق معالجتها.

من عالم العقل إلى عالم الخيال

انطلق باشلار في أبحاثه حول العلم والفلسفة والإبستمولوجيا ليدخل مجالًا آخر، هو الفن، سواء في الشعر أو الأدب. حاول أن يجد فلسفة للفن بعد أن صاغ فلسفة للعلم، وهذا ما أدى إلى طرح إشكالية الانتقال من العلم إلى الشعر في فكر باشلار، وكيف ربط بين فلسفة العلم وفلسفة الشعر، وما جوهر تلك العلاقة بينهما.

كان باشلار مهتمًا في إبستمولوجيته بالعلاقة بين الفلسفة والعلم، في ظل التطورات الحاصلة في القرن العشرين. وكان مستقبل باشلار في تلك المرحلة يبدو واضحًا، خاصة أن تخصصه كان في فلسفة العلوم. لكن الأمور لم تسر كما أراد، خاصة بعد صدور كتابه النار في التحليل النفسي. وقتها، كان يخشى ردود الفعل على ما كتب، خصوصًا بعد تعيينه مدرسًا لفلسفة العلوم. ومع إصراره على التوجه إلى التحليل النفسي غير التقليدي، استطاع تجاوز تحديات التجريب وتفوّق في المجال الذي اختاره.

وفي السنوات التي تلت صدور النار في التحليل النفسي، نشر باشلار أعمالًا أخرى لها الطابع نفسه، مثل: الماء والأحلام، الهواء وأحلام الرؤى، والأرض وأحلام يقظة الإرادة. خلال هذه الفترة، تحوّل باشلار من عوالم العقل والعلم إلى عوالم الخيال والشعر.

يتضح أن باشلار كان فيلسوفًا موهوبًا، لكنه كان يميل بشدة نحو عالم الخيال والشعر. فعلى الرغم من براعته في الفلسفة، كانت كتاباته تشير إلى توجهه نحو عوالم الشعر والخيال. وتعكس عناوين كتبه هذا الميل، فهي تدل على أنه قد وجد ضالته في الشعر، وأن نصوصه تمزج بين الشكوك الفلسفية ورحابة المفردات اللغوية التي كانت مدخلًا لعالمه الإنساني.

أكد باشلار على ضرورة التوفيق بين الفكر الشعري الواضح والفكر العلمي الهادئ، معتبرًا ذلك دعوة صريحة للجمع بين البحث العلمي والبحث الشعري عن طريق الفلسفة. كما أكد على أن الصورة الشعرية ليست مجرد وهم أو خيال، بل يمكن أن تتحول إلى مادة ذات مضمون من خلال التحليل ومنحها بُعدًا ماديًا ملموسًا.

الخيال الشكلي والخيال المادي

لقد ميّز باشلار، الشاعر، بين نوعين من الخيال: الخيال الشكلي والخيال المادي. وقد رأى أن كليهما فاعل في الطبيعة وفي العقل الإنساني. في الطبيعة، يُنتج الخيال الشكلي كل الجماليات غير الضرورية، مثل الأزهار. أما الخيال المادي فيهدف إلى عكس ذلك؛ حيث يسعى إلى إنتاج ما هو بدائي وخالد في الوجود.

أما داخل العقل الإنساني، فالخيال الشكلي مُغرَم بالطرافة والخيال الخلّاق المملوء بالتنوع والدهشة للأحداث، بينما يرتكز الخيال المادي على عناصر الاستمرارية في نظرته إلى الأشياء. فالخيال المادي، سواء في الإنسان أو في الطبيعة، يفرز بذورًا، وفي تلك البذور يكمن الشكل بعمق في المادة.

وقد نالت صور الخيال الشكلي ـ صور الأشكال الحرة ـ اهتمامًا كبيرًا من الفلاسفة دائمًا. ولهذا، كان باشلار يشعر بأنه يقوم بعمل متقدم حين يدرس «صور المادة». هذه الصور تتضمن بطبيعة الحال عنصرًا شكليًا، إلا أنها، بحسب باشلار، هي الأشكال المباشرة للمادة، والتي تأتي مترابطة معها وليست منفصلة عنها.

كان باشلار واعيًا بضرورة جذب انتباه الفلاسفة إلى الخيال المادي، حيث رأى فيه مفهومًا جديدًا يتطلب القيام بدراسة فلسفية شاملة للإبداع الشعري. بعبارة أخرى، انصرف باشلار عن فلسفة العلم إلى فلسفة الفن وعلم الجمال.

الفيلسوف غاستون باشلار، الذي تطور فكره عبر الموضوعات الأساسية لفلسفة العلم، وتابع مسار العقلانية الحديثة النشطة، كان يؤمن أن النسيان فطرة إنسانية، وقد اعتبره بعض الفلاسفة نعمة. بينما تبقى الصورة الشعرية لديه حلقة الوصل بين العلم والنسيان، أي علاقة جدلية.

كان باشلار يتخلى عن عاداته في البحث الفلسفي لرغبته في دراسة المسائل التي يطرحها الخيال الشعري. ففي هذا المجال، لا أهمية للماضي الثقافي. وقد وجد باشلار أن الجهد الطويل في تجميع وبناء أفكاره لا فائدة له هنا.

كان عليه أن يتقن فن التلقي، تلقي الصورة بمجرد ظهورها. فإذا كان لا بد من وجود فلسفة للشعر، فعليها أن تظهر وتعاود الظهور من خلال شعر ذي دلالة، عبر ما يمكن تسميته "الصورة المنعزلة"، حتى تكون أكثر دقة.

علاقة الصورة الشعرية والفلسفة

عند الحديث عن العلاقة بين الصورة الشعرية والفلسفة عند باشلار، علينا التفكير مليًا في الأعماق الكامنة للاوعي، التي لم تكن هناك أسباب واضحة أو ظاهرة للعيان. فالصورة الشعرية لا تخضع لاندفاعات داخلية كما هو متصور عند الكثير من النقاد، وهذا ليس دقيقًا على الأقل في علاقة باشلار مع الصورة الشعرية.

كما أن الصورة الشعرية ليست صدى للماضي. بل على العكس، فمن خلال توهج الصورة يتردد الماضي البعيد بالأصداء، ويصعب علينا معرفة، إلى أي عمق سيتم إرجاع هذه الأصداء وكيفية تلاشيها.

وأعتقد أن هذا التلاشي عند باشلار مدعوم بالحذر والحصافة العلميتين كمنطلق لتأسيس ميتافيزيقا الخيال. إن هذا الموقف الحذر هو موقف عقلاني، ومجرد أزمة يومية، كنوع من الانفصال في التفكير. ورغم أن هذا الانفصال مجرد وقفة تأملية قائمة على بناء الصورة الشعرية، التي تحتوي على المفارقة الكلية لظاهرتيه الخيال، فإن هذه الملاحظة تؤكد الفارق الأساسي بين الصورة المطلقة المكتفية بذاتها، وبين الصورة التالية للتفكير والمكتفية بتلخيص أفكار قائمة: «هذه الزهور، التي تنمو في مهد قطني، ذات لونين: قرنفلي وأبيض، وهي صغيرة ورقيقة.

أنني أنزع كأس الزهرة الداخلي الصغير بواسطة شبكة الخيوط الحريرية التي تغطي الكأس». (2)

إلى هذا يمكن اعتبار هذا النص موضوعيًا، ولكنه يتحول بعد ذلك إلى نص سيكولوجي، ثم بالتدريج يرافقه حلم يقظة: «تقف الأعضاء الذكرية الزهرة الأربعة منتصبة، في علاقة ممتازة مع بعضها، خلال شبه المشكاة التي تكونها الشفة السفلي، حيث تظل الأربعة مستكنة ودافئة في حجراتها». (3)

باشلار سحره الشعر

وحين يكتب باشلار شعرًا، يتجاوز الفلسفة لقناعته أن الصورة الشعرية هي الأكثر تعبيرًا لرؤيته الإنسانية. أما أجمل ما عبّر عنه باشلار عن الصورة الشعرية، حين قال: «للصور العظمى، إذ هي دائمًا مزيج من الذاكرة والأسطورة، وهذا يعني أننا لا نعيش الصورة بشكل مباشر» (4). والواقع أن لكل صورة عمق حلمي يعيدنا لسبر أغوار النفس البشرية، ويُضاف إلى هذا العمق الفلسفي لدى باشلار في فهمه للصورة الشعرية أن لكل صورة تاريخًا شخصيًا، تمتلك لونًا خاصًا بها.

بعد أن وضع فلسفة للعلم، أراد البحث عن فلسفة للشعر تقوم على المنهج الظاهراتي، ويحاول ربط الشعر بالكتابة التي يراها ضرورية، ويرى أن تحليل الصور الشعرية يؤدي إلى غنى الكتابة والإبداع الفكري، مما يؤدي إلى حركة اللغة وغزارتها. فباشلار يحاول الانتقال من لحظة التعبير الشعري إلى الوعي الإبداعي، من العلم إلى الشعر إلى الكتابة. حاول باشلار تركيب العلاقة بين العلم والشعر عن طريق الفلسفة، فهو يريد أن يفلسف الشعر بعد نجاح فلسفة العلم التي جاء بها. وبما أن الواقع الفعلي يمثل هنا في وحدة الرؤى الشعرية لباشلار، فإن الإنسان ذاته يحشر في هذه الوحدة والانسجام. وبما أن الفلسفة توجد في التناقض، فإذا كانت مهمتها أن تفضح التشويهات التي يتعرض لها الإنسان، فإن باشلار يفضح هذا السلوك الإنساني المتجسد في التشويه الفكري، ويسعى ما وراء الحقيقة؛ أي أن تكون صورته الشعرية إقامة حقيقة لرؤيته للعالم.

هناك فلاسفة بارزون تأثروا بالشعر وأدخلوه ضمن مشاريعهم الفلسفية، مثل: مارتن هايدغر، الذي اهتم بالشعر وأرى أن الشاعر وحده هو القادر على اكتشاف الحقيقة الكامنة في الوجود. كان للشعر دور مركزي في فلسفته حول مسألة الوجود. وموريس بلانشو، الذي ربط بين الكتابة الأدبية والفلسفة، واعتبر أن للأدب قدرة على الكشف عما لا يمكن للفلسفة التعبير عنه. وإيمانويل لوفاس، الذي اعتبر أن الشعر هو الوسيلة الأساسية للكشف عن الحقيقة الوجودية للإنسان. وجان بول سارتر، الذي وصف الأدب بأنه «فلسفة بالأفعال»، معتبرًا أن الكتابة الأدبية هي طريقة للتعبير الفلسفي. وبناءً على ذلك، نجد أن عددًا من الفلاسفة المعاصرين قد أولوا اهتمامًا كبيرًا بالشعر وأدخلوه ضمن مشاريعهم.

صفوة القول، إن باشلار ذهب إلى الشعر ليثبت أن الفلسفة شكل من أشكال الأيديولوجيا، وأنه ككل الأيديولوجيا لا يتجسد في أجهزة اجتماعية معينة، ولا يتمتع بأي استقلالية ذاتية، ولا يقوم بأي دور. كما أن باشلار لعب على فكرة الزمن في صورته الشعرية، وهنا من المفيد التذكير بما قاله فوكو: «وحينئذ ستلقى على عاتق الفكر مهمة التخلي عن القول بأصل للأشياء، ولكن تجلى هدفه في تأسيس الأصل، وذلك باستعادة الكيفية التي تتشكل وفق إمكانية الزمان». فالزمن عند الفلاسفة فكرة غير متناهية، وإن كانت هذه الفكرة لا تتعارض عند الشعراء، إلا أن باشلار دمج بين الممكن الفلسفي والروح الشعرية التي لا تحدد إطارًا للممكن. فالشعر روح تحلق في فضاءات لا يحددها إلا روح الشاعر، لذا لجأ باشلار إلى الشعر، للذهاب بعيدًا بروحه القلقة للشعر، فكان شعره فلسفة مركبة على أجنحة الشعر. ■

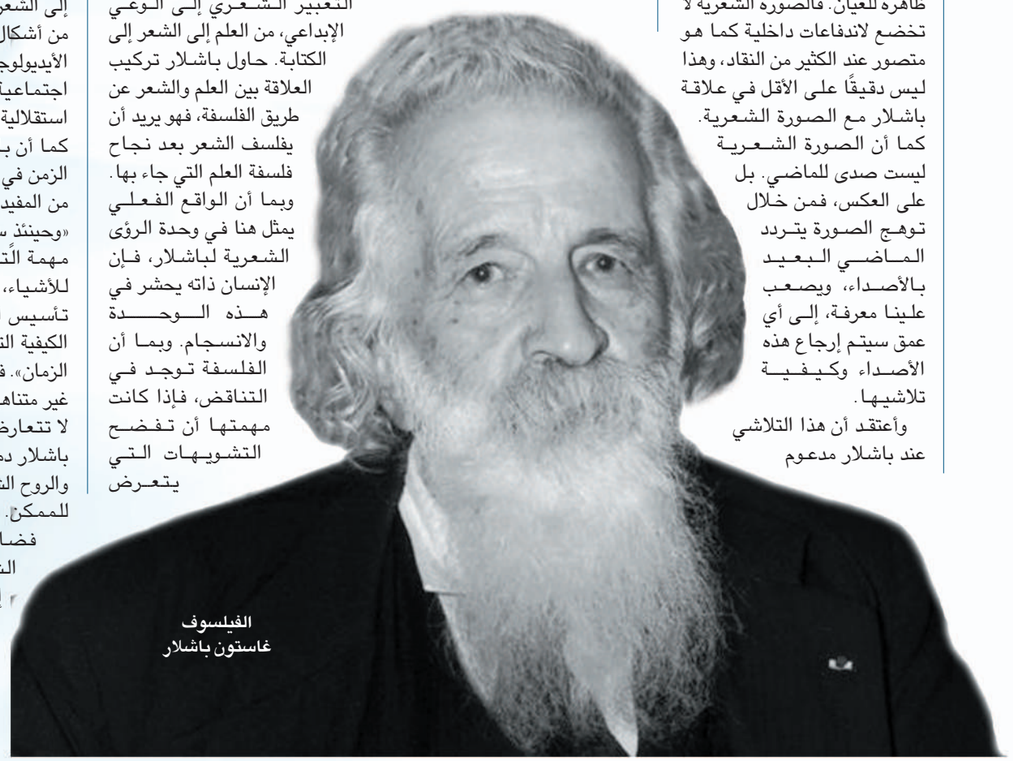

الفيلسوف غاستون باشلار

*أديبة، شاعرة وقاصّة

كانت من أهم شاعرات اللغة الأوردية ورائدة من رائدات الحركة النسائية الباكستانية

الشاعرة الباكستانيّة بروين شاكر عابرة للقلوب

لبنان ـ نسرين الرجب*

تتلاقى الأمم بقصائد شعرائها، وقد استطاعت الشاعرة الباكستانيّة بروين شاكر؛ بسنواتها الأربعين أن تصنع مجدها الخاص، وأن تكون امرأة مؤثّرة في مجتمعها، وتنقل لنا (بجهود المترجمين للعربيّة) أحاسيسها وعواطفها الإنسانيّة بفيض نتاجها الشعريّ ومرونتها اللغويّة العابرة للاختلافات.

وُلدت بروين شاكر (1952-1994) Parveen Shakir في كراتشي في باكستان، وهي من عائلة مثقفة، كاتبة وشاعرة وأمًا عاملة. تزوجت من الطبيب الباكستاني نصير علي، ورُزقت منه بطفل واحد، لم يدم هذا الزواج طويلا، وانتهى بالطلاق.

كتبت الشعر والقصائد الحرّة وكان لها في الصحافة مشاركات باسم "بينا"، درست في كلية كينيدي في جامعة هارفاد، ونالت ثلاث شهادات عليا في الأدب الإنكليزي وفي اختصاص اللغويات وفي إدارة البنوك .

عملت في بداياتها في مجال التدريس؛ ولتسع سنوات. التحقت بعد ذلك بالخدمة المدنيّة مع الحكومة الباكستانيّة في دائرة الجمارك، وقد نالت ترقية في تعيينها سكرتيرًا ثانيًا للمجلس المركزي للإيرادات، سافرت في وقت لاحق إلى أميركا وبعد عودتها 1993 استقالت من منصبها السابق وتولّت منصب مديرة قسم اللغة العامة.

كتبت الشعر باللغة الإنكليزية في سن مبكرة وأصدرت مجموعتها الأولى تحت عنوان «العبق» 1976. تناول شعرها وضع المرأة في باكستان، وقد كانت نشطة في الجمعيات الحقوقيّة النسائية، ويُذكر أنها استعملت مفردة «فتاة» للتعبير عن هواجس المرأة ومشاعرها في الحب وهو ما يُشبه أنّها تحدثت بلسان أنثوي في ظل خطاب ذكوريّ مهيمن حتى في الشعر والحب. استخدمت صورًا بلاغيّة غير متداولة في الأدب الأوردي.

تُعدّ شاكر، بحسب ما يقوله المترجم نزار سرطاوي، والذي ترجم الكثير من قصائدها وتحدث في أكثر من مكان عن حياتها، من أهم شاعرات اللغة الأوردية، وتعدّ رائدة من رائدات الحركة النسائية الباكستانية. ومن المدافعات النشطات عن حقوق المرأة.

بجسد ثابت ويدين ترتفعان كالصلاة، ووجه صافي الملامح، بقليل من الرتوش، ولباس تقليديّ محتشم وشعرٍ مسدول على طبيعته، نقع على مقاطع مصوّرة لبروين شاكر وهي تُلقي شعرها أمام جمهور مُصغٍ وصاخب وهو يردّد معها قفلات أبياتها بتمامٍ مثير للإعجاب.

صدرت لها مجموعة شعرية أولى بعنوان "العبق" 1976 التي نالت عنها جائزة آدمجي. وقد نالت المجموعة إعجاب القراء. ثم صدرت لها مجموعات: آذريون المستنقعات 1980، مناجاة 1990، إنكار 1990، حافة المرآة.

صدرت مجموعاتها الشعريّة الكاملة في مجلد بعنوان «البدر» نشر بعد رحيلها في العام 1994. صدر لها كتاب "زاوية الرؤية" يضمّ مقالاتها الصحافية. وقد نالت جوائز تقدير لجودة شعرها في بلدها باكستان. وكذلك نالت جائزة مفخرة الآداء وهي من أرفع الجوائز في باكستان.

توفيت في العام 1994 في حادث سير، وهي في طريقها إلى العمل، وقد سمي الشارع الذي حصل فيه الحادث باسمها، وأسست صديقتها «بروين قادر آغا» مؤسسة ائتمانيّة تحمل اسمها وتُعنى بتنظيم احتفال سنوي، تُقدّم خلاله جائزة مخصّصة للشعر. وفي العام 2013 أصدر البريد الباكستاني طابعا تذكاريًا تخليدًا لذكرى وفاتها.

تحدّت تقاليد زمنها

كتب الصحافي مهدي عبدالله، (في صحيفة الوسط، العدد 4354، أغسطس آب العام 2014.) تحت عنوان «الشاعرة الباكستانية بروين شاكر.. فشلوا في إطفاء نارها»: كانت أشعارها مبنيّة حول تجربتها الخاصة في الحياة كامرأة شرقية مطوّقة باستبداد العادات والتقاليد وتراقب البيئة المحيطة المليئة بالظلم والنفاق.

نفهم أن الوضع في باكستان لم يكن يسمح للمرأة بالظهور العلنيّ والشهرة، وكان الاستماع لصوت العقل جريمة في عائلتها، ويذكر الكاتب في مقطع نقله عن مقدمة إحدى كتبها، أنّها رفضت ارتداء غمامة على عينيها كما التقليد السائد وقد عانت لأنها أرادت أن ترى بوضوح. كانت كتاباتها تحليق خارج السرب، وتماه مع طموح إنسانيّ حر. صورت واقع المرأة بحلوّه ومره، عبّرت عن المشاعر الأنثوية وقضايا العاطفة والنفس، واحتجت على الظلم اللاحق ببنات جنسها. ونجدها تقول في قصيدةً «قد كان مقدرا»:

ثم شتم زيدٌ بكرًا قائلا:
أمك معروفة أكثر من أبيك!
أي بُنيّ
هذه اللعنة هي قدرك أيضاً
في العالم الأبوي عليك أنت أيضاً ذات يوم
أن تدفع ثمناً باهظاً
لأنك معروف من جهة أمك
رغم أن لون عينيك واتساع جبهتك
وكل الانحناءات التي تصنعها شفتاك
تأتي من الرجل الي شاركني في ولادتك.

ومع ذلك فهو وحده الذي يمنحك الأهمية في أعين واضعي القانون.
ثم تقول أنه لها الحقّ بأن يُعترف بجميلها، وأن توفى حقّها من الحبّ والاحترام وهي الشجرة التي ظللته بدفئها ورعايتها:

«لكن الشجرة التي رعتك لثلاث مواسم
لها أن تطالب بموسم واحد ليكون لها».

كانت شاكر، مثقفّة ناشطة استطاعت أن تلتقط إشارات ذلك الزمن، وأن تُسطّر أوجه النفاق فيه بقالب نقديّ ساخر، لم تُراهن على أنوثتها بل على صلابتها وقوّة الطرح، بجملٍ شعريّة بسيطة، غير معقّدة، واستعارات موحيّة وقويّة الدلالة.

تقول في مقطع من قصيدة بعنوان «صلصة الطماطم» والترجمة لنزار سرطاوي:

في بلادنا،
المرأة التي تكتب الشعر،
يُنظر إليها على أنها سمكة غريبة.
كل رجل يَفترض
هو الموضوع الذي تتحدث عنه
في قصائدها!
ولأن الأمر ليس كذلك،
فإنه يمسي عدواً لها.

انتقدت مجتمعها ومثقفي العصر الذين يجاملون النساء اللواتي يدخلن المجال الثقافي، سخرت من هؤلاء الذين يتحلقون حول «سارة» نموذج المثقّفة البسيطة التي تسعى للشهرة، فتقول في القصيدة نفسها:

«كان المثقفون العاطلون عن العمل في المدينة يتجمهرون حولها.
حتى أولئك الذين لديهم وظائف، كانوا يتركون ملفاتهم النتنة وزوجاتهم المرهقات ليأتوا إليها،
تاركين وراءهم فاتورة الكهرباء،
ورسوم أطفالهم المدرسية وأدوية زوجاتهم.
فهذه هي هموم البشر الفانين الأصغر شأنًا».

ساحرة العالم

وفي مبحث بعنوان "المظاهر الرومنطيقية في شعر بروين شاكر" يقول عمر جان باله (باحث في الدكتوراه في قسم اللغة العربية وآدابها بجامعة كشمير، العدد 18 ديسمبر 2021) استطاعت بروين شاكر أن تسحر العالم بلهجتها وأسلوبها وندرة فكرها وتعبير عاطفتها وتصوير مشاعرها وأن تصف حياة المرأة والمشاكل الجنسية والاضطرابات العائلية والنوازل الفردية، والضغوط الاجتماعية والمسارات الشائكة للحب بطريقة فريدة في شعرها. هي الشاعرة التي استخدمت لأول مرة ضمير المتكلم في الشعر الأردي لكشف القضايا الخاصة بالمرأة.

كان شعرها كثيفًا غنيا بالاستعارات، كتبت الكثير عن الحبّ والغزل، وصوّرت العلاقات العاطفيّة، وجسّدت في شعرها معاني الخذلان والخيبة، ففي قصيدة «خط ساخن» تصور الحب والعلاقة العاطفية من الاشتعال حتى البرود:

اليوم ليس بيننا أحد
بحركة بسيطة من يده
يمكنه أن يلمسني
لكن مواسم كثيرة جاءت ومضت
... ليس من العسير أن أصل إليه
لكن الحقيقة هي أنّ
صوته لا حرارة فيه
ونغمته ليست هي نفسها،
ومع أنه يغني اللحن نفسه
فإنّ قلبه بارد..

استخدمت صورا شعريّة لافتة، ومثيرة للعجب، شعرها المترجم ينتقل إلينا ويمسّنا من الداخل، كتبت الكثير من القصائد القصيرة التي توجز الكثير من الشعور، قصائد عميقة تحوي إسقاطات ورسائل قيّمة وطريفة. وهناك من يماهي بين حكايتها وحكاية الشاعرة الإيرانية "فروغ فرخزاد" والتي أيضًا عانت ما عانته في مجتمع يضيّق على المرأة حريّتها، حيث تُعامل بدونية مهما اعتلت من مناصب، مجتمع لا يسمح للمرأة أن تنافس الرجل، مجتمع يرى في تفوق المرأة عار، كما تُبيّن في قصيدة «قد كان مقدّرًا».

وقد حرصت في بعض قصائدها على الاستشهاد بشخصيات نسائيّة معروفة، وكذلك بشخصيات شعراء معروفين مثل بابلو نيرودا وكافكا، وكذلك بشخصيات روائيّة، كشخصيّة الدكتور فاوست، وهو شخصية من مسرحية الشاعر الألماني غوتيه، حكاية طبيب باع روحه للشيطان، تقول:

على نحوٍ ما،
نحن جميعاً الدكتور فاوست
واحدٌ بسبب جنونه،
وآخرُ لا حول له ولا قوّة،
نتيجة للابتزاز يُقايضُ بروحه،
واحدٌ يرهن عينيه لتاجر الأحلام،
وآخرُ يرهنُ عقله ضماناً...»

أخذت شعر النثر إلى عالم جديد، كما يذكر الباحث عمر جان باله، واستعملت فيه اللغة العاديّة بدلا من اللغة الشعريّة، وشكّلت إلهامًا للكثير من الشعراء، استخدمت الصيغة الأنثوية لضمير المتكلم التي لم يكن استعمالها شائعًا في الشعر. ويُشير الباحث إلى مظاهر الرومنسيّة في شعرها عن المرأة والطبيعة، وعن الحب.

نظمت قصائدها المفعمة بالمشاعر والعواطف والمواقف الرومنسية ذات النغم الكئيب والجراح الموجعة. عبّرت عن حسها الوطني وحبها لبلدها وتعلّقها بأرضها وأهلها. وعنت بالقضايا السياسية والوطنية. وكان الحب محور شعرها تقول: "إن فلسفة الحب هي أساس شعري. وفي هذا أرى المثلث الأبدي الإنسان والخالق الكون."

وصفت عواطف المرأة أحوال قلبها وغنّت المشاعر المشتعلة، نقلت تجربتها ووصفت عدم التفات الحبيب وقلة إخلاصه بصدق الشعور وعمقه.

النظرات نظراته، والمحيا محيتي،
وبالهدوء كله قصّ الحكايا
عيناه هما اللتان أطّرتا الأشعار
وكتبتا مثلها على وجهي
ونفسه المفعم كان يشير
عندما كانت اللحظات الحيّة تتملكنا..
وذراعاه رغم أنهما بعيدتان عني،
تحملاني وتمضيا بي...»

تركزت أغلب أشعارها حول الحبّ، النسوية، والقضايا الاجتماعية، تحدثت عن جمال الطبيعة، واستخدمت جملا مبدعة التصوير: «ضحكات المطر تدوي بين الأشجار» مازجت بين النظم التقليدي والنظم الحديث في غزلياتها، وكانت شاعرة بحقّ، لذلك يصلنا شعرها اليوم عابرا القلوب، جسرًا لامتداد الثقافة والمعرفة بين الشعوب.

وختامًا مع مقطع من قصيدة «نصيحة» تقول:

إذا ما راحت فجواتٌ من الصمت
تظهر أثناء الحديث
إذا ما خلدت الكلمات المنطوقة
إلى الصمت
إذاً يا صديقي الفصيح
دعنا نصغي إصغاءً تاماً لهذا الصمت.

*كاتبة وصحافية

تفسير القرآن بين الدلالة وإشكاليات الفهم

لندن: د. حسين رشيد الطائي*

القرآن الكريم هو آخر وأهم الكتب السماوية المقدسة التي أنزلها الله تبارك وتعالى لهداية عباده. وقد جرت المشيئة الالهية أن تهتم بالقرآن اهتماما كبيرا وصل الى حد قوله تعالى (إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ)؛ بمعنى أنه تبارك وتعالى حَفِظَهُ من التحريف ومن الدس، على عكس الكتب السماوية الأخرى مثل التوراة والانجيل والتي تعرضت للتحريف، قال تعالى في ذلك)مِّنَ الَّذِينَ هَادُواْ يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا). وقال أيضا (وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلاَمَ اللّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِن بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ).

لكنه في القرآن الكريم شدد أن لا مجال لتحريفه؛ وقد تجسد هذه الآية الكريمة استحالة هذا الأمر حيث يقول (قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَن يَأْتُواْ بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لاَ يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا).

بل أنه تعالى رفع سقف هذا التحدي الى سورة من مثله كما في قوله (وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُواْ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُواْ شُهَدَاءكُم مِّن دُونِ اللّهِ إِنْ كُنتُمْ صَادِقِينَ). وربما يشير هذا الأمر الى سبب اختيار اللغة العربية لتكون لغة القرآن؛ كونها تشتمل على جذور ومفردات ومعاني وبيان وبديع وبلاغة وصور جعلها بمستوى الدقة والتصوير وتنوع المفردات والمعاني تتواءم مع القرآن وتلبّي حاجاته. وفي ذلك يصف الله تعالى كتابه بأنه عربي مبين كما في قوله)حم. وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ.إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ). وقال ايضا (وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِن كُلِّ مَثَلٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ قُرْآنًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ).

فهو مبين وليس فيه اعوجاج؛ فاختيار العربية يؤكد تكامليتها في الفحوى والقصد والفهم. من أجل ذلك كانت اللغة العربية هي الأداة الأولى في عملية تفسير القرآن الكريم. إلا ان السؤال الذي يطرح هل أن اللغة كافية لوحدها لتفسير القرآن؟ والجواب البديهي عن هكذا تساؤل هو بالطبع لا. لأن هناك أدوات كثيرة تدخل في علم التفسير وأهمها معرفة الناسخ والمنسوخ وأسباب النزول. وهما قضيتان مهمتان في العملية التفسيرية كونهما يدخلان في صلبها؛ إذ لا يمكن لأي أحد أن يتخطى التفسير من دون أن يتعرض لهما.

فمثلاً إذا أردنا تفسير قوله تعالى (وَلِلّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُوَلُّواْ فَثَمَّ وَجْهُ اللّهِ إِنَّ اللّهَ واسِعٌ عَلِيمٌ). فهل هذا يعني اننا لا يجب علينا أن نتوجه في الصلاة الى جهة بعينها كون الآية لا تشير الى جهة بعينها وان كل الجهات تؤدي الى الله تبارك وتعالى؟ واننا لو تتبعنا سبب النزول لعرفنا ان المقصود غير ذلك؛ فقد جاء في كتب أسباب النزول عن النبي صلى الله عليه وآله ان رسول الله صلى الله عليه وآله كان يصلي حيث توجهت به راحلته. وأنه كان يفعل ذلك ويتأول هذه الآية (أينما تولوا فثم وجه الله). ونقل أيضاً عن عبد الله بن عامر بن ربيعة، عن أبيه قال (كنا مع رسول الله صلى الله عليه وآله في ليلة سوداء مظلمة، فنزلنا منزلا فجعل الرجل يأخذ الأحجار فيعمل مسجدا يصلي فيه، فلما أصبحنا، إذا نحن قد صلينا على غير القبلة، فقلنا: يا رسول الله لقد صلينا ليلتنا هذه لغير القبلة. فأنزل الله عز وجل: ولله المشرق والمغرب فأينما تولوا فثم وجه الله إن الله واسع عليم). علما أن الله تعالى قد أمرنا بأن نتوجه في الصلاة الى المسجد الحرام في آية ثابتة واضحة، قال تعالى (وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّواْ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ). وقد يدخل هذا من باب التوسعة وربما يدخل من باب التبيين بعد الإجمال كون الاجمال هو (اينما تولوا فثم وجه الله)، أما التبيين فهو (التولية شطر المسجد الحرام). بل انّ من المفسرين والعلماء من قال ان الثانية نسخت الأولى وساقوا أدلة على ذلك. والآية لا تتعدى كونها تبين حكما مستوجبا في ضرورة تولية الوجه في الصلاة شطر المسجد الحرام أما اذا تعذر ذلك كأن يكون الانسان يجهل الجهة أو القبلة أو كان يصلي من على ظهر راحلة أو طائرة أو سفينة أو وسيلة نقل متحركة ومنعطفة فلله المشرق والمغرب.

وهذا يشير الى ان العملية التفسيرية بحاجة ماسة الى أسباب النزول مثلا والى الأحاديث النبوية الشريفة ثانيا التي بيّنت الآيات ومقاصدها ومعانيها. ونحن نعلم أن علم الحديث علم صعب ومتشعب يهتم بالرجال والرواية والسند وعلى من أراد أن يأخذ منه أن يكون ذا دراية به دراية تامة ليفرّق ما بين الحديث الضعيف والحسن والمكذوب والصحيح والمنقول والموضوع كما أنّ عليه أيضا أن يتبين الرواي والسند وغير ذلك من الضوابط والشروط وهي بعيدة كل البعد عن غير المتخصص. فكيف إذن تسنّى لبعض هذه الثلة المسكينة التي لا علم لها بكل هذا أن تخوض في القرآن بغير علم. حتى أمسينا نسمع تفسيرات غريبة وأحكاما وفتاوى أغرب.

وهكذا يتبين لنا أن قضية تفسير القرآن لا تكتفي باللغة وحدها بل تحتاج الى أدوات وهذه الأدوات كما قال العلماء والمفسرون كثيرة ومنهم من أجملها في إتقان سبعةَ عشرَ علما كلها يدخل في تفسير القرآن وعلى رأسها اللغة.

ولذا لا يجوز على غير المتخصص أن يقحم نفسه في هذه المعمعة وهذا المعترك الخطير الذي حذّر منه رسول الله صلى الله عليه وآله حيث قال (مَن قال في القرآن برأيِّه فليتبوَّأْ مَقعدَهُ من النّار). ناهيك عن الإحداث في الأمة؛ فلو انه كان متبوعا لدى جمهرة من الناس وأصدر حكما أو رأيا أو تفسيرا بغير علم فقد جنى على الكثير من عامة الناس وبسطائهم إذ اتبعوه.

من أجل ذلك نقول ان عملية تفسير القرآن الكريم عملية تخصصية مهمة ودقيقة ولا ينبغي لأي أحد لا تنطبق عليه معايير وضوابط التفسير أن يقحم نفسه فيها. إلا أننا ابتلينا في عصرنا هذا مع شيوع وسائل التواصل الاجتماعي فيما يعرف بعصر الديجتال والانترنت ببروز مجموعة كبيرة ممن ادعوا معرفة التفسير مع أنهم لا يملكون أبسط ضوابط التفسير (اللغة). بل ان المضحك المبكي أن تخصصاتهم لا تمت بصلة لعملية التفسير؛ فمنهم المهندس والتقني والفيزيائي والطبيب (مع احترامنا لكل هذه التخصصات) وممن لا حظ له في التخصص؛ أضحى كلٌّ منهم يدلو بدلوه ويقول بما يشاء في القرآن الكريم. حتى أمست هذه القضية مشكلة في عملية الفهم الجمعي للقرآن مما أدى الى حرف بوصلتها وتشتيت العقل المسلم أكثر مما هو مشتت. وفي الحقيقة فإن هذه المسألة لسيت طارئة بل هي قديمة وأن علماء النقل والتفسير حذروا منها منذ زمن طويل وأطلقوا عليها مصطلح (التفسير بالرأي المذموم)؛ ولدينا في التاريخ الإسلامي أمثلة كثيرة عليه؛ ألم يستدل بعض المتصوفة على جواز الرَّقص بقوله تعالى: (ارْكُضْ بِرِجْلِكَ هَذَا مُغْتَسَلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ) مع أن الآية لا تشير إليه إطلاقا لا من قريب ولا من بعيد. ومنه أيضا ما استدل بعضهم على أن الحسنة والسيئة منه تعالى الله عن ذلك في قوله تعالى (وَإِن تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُواْ هَذِهِ مِنْ عِندِ اللّهِ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُواْ هَذِهِ مِنْ عِندِكَ قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ اللّهِ فَمَا لِهَؤُلاء الْقَوْمِ لاَ يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا)، علما أن المراد بالحسنة النعمة، وبالسيئة المصيبة. ومنها وهو الأخطر ما يمس عقيدة الإنسان في الله وفي ذاته المقدسة؛ فقد فهم بعض العلماء والمفسرين إمكانية رؤية الله تعالى في الآخرة في قوله تعالى (وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ). رغم أنه سبحانه نفى عنه المادية والجسمانية في قوله تعالى (لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ). ولوَ أنهم قرأوا قوله تعالى (وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِم بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ)؛ أيَ منتظرة؛ لفهموا أن قوله (الى ربها ناظرة) أي منتظرة؛ وهي لا تنتظر من ربها إلا الرحمة والشفاعة والدخول في رضاه وتجنب غضبه وعذابه. والأمثلة كثيرة في هذا الباب.

وإنني أتساءل بصدق عن سبب لجوء البعض الى التفسير بالرأي المذموم والخوض في القرآن من غير علم! فهل هي الأنا أم هي عوامل كثيرة متنوعة مثل الجهل وعدم التوعية والابتعاد عن طريق الله تعالى والانشغال بالدنيا وابتغاء الشهرة وغير ذلك من الأسباب؟

لكن من المهم أن نعلم أن إفساح المجال لهذه الثلة المسكينة لبث تحريفاتها وتخريفاتها بين المسلمين والناس من خلال استضافتهم في القنوات الإعلامية والحية إنما يزيد هذه المشكلة ويفاقمها. ومن الضروري أن تكون هناك رقابة صارمة لضبط هذا الأمر. فلقد وصل الأمر ببعضهم انه خفف من الزنى وقال انه لا يتحقق إلا إذا كان علنيا وبوجود شهود وان كل من يمارسه من دون شهود أو في الخفاء فليس بزنى؟ بل ان بعضهم حوَّل مفاهيم القرآن الكريم التي جاءت لهداية الناس أجمعين الى معادلات رياضية وفيزياوية ونووية وأخذ يفصل فيها كيفما يشاء من دون رادع أو رقيب. وغير ذلك كثير.

نعم لقد وصلنا الى هذه النتيجة منذ أن نزعنا عن أنفسنا صفة العلم وانشغلنا بجهلنا وخلافاتنا وشهواتنا وابتعدنا عن شخصيتنا التي كانت ذات يوم تقود هذا العالم.

وعليه ينبغي علينا أولا أن نهتم بعملية تفسير القرآن الكريم وأن نأخذها من مصادرها الأصيلة وأن لا نسمح لغير المتخصصين أن يتدخلوا فيها. كيف لا وان تفسير القرآن في الأصل كان منوطا بالله سبحانه وتعالى الذي أنزل القرآن. فقد كان النبي ينتظر من الباري عز وجل التفسير ليبلغه للمسلمين قال تعالى في ذلك (وَمَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلاَّ لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُواْ فِيهِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ) فالرسول كانت وظيفته الاساسية الهداية وتبيين مقاصد الشريعة التي هي القرآن. والقرآن يخبرنا أن الله تعالى ألهم نبيه وعلّمه التفسير قال تعالى (لا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ. فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ)؛ وبيانه يشمل مراحل التفسير الظاهري التي نحتاجها، فضلا عن بيان أسرار ومعاني وحقائق وإشارات ولطائف وكرائم القرآن الظاهرة والباطنة؛ وهذا يعني ان الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله كان ينتظر التفسير من الله ليبلغه للناس. فكيف بغيره إذن؟!!

وهكذا سار مفسرو القرآن في تفاسيرهم له؛ حيث جعلوا القرآن أول أداة في التفسير لأنهم قالوا ان القرآن بيّن كلَّ شيء كما في قوله تعالى (وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ)؛ ولما كان القرآن يبيّن كلَ شيءٍ فإنّ الأولى أن يبيّن نفسه ولذلك أصبح تفسير القرآن بالقرآن من أصح مصاديق التفسير؛ ثم تفسيره بالسنّة النبوية الصحيحة الثابتة المتفق عليها ثم بعد ذلك يأتي دور اللغة والبلاغة والبيان وأجزاء الكلام وأنواع الحروف ومعانيها والناسخ والمنسوخ والخاص والعام والمكي والمدني والمجمل والمبين والمطلق والمقيد وغير ذلك من الأدوات والضوابط التي لا يجوز أبدا الاستهانة بها على الاطلاق أو تخطّيها.

فالقرآن كما يقول الإمام علي عليه السلام ورضي الله عنه (شافعٍ مُشفَّع، وقائلٌ مُصدَّقٌ وأنه مَن شَفَع له القرآن يوم القيامة شُفِّع فيه، ومَن مَحَل به القرآنُ يوم القيامة صُدِّقَ عليه، فإنه ينادي مناد يوم القيامة: ألا إنَّ كلَّ حارث مُبتلى في حرثه وعاقبةٌ عمله، غير حَرَثَة القرآن. فكونوا من حَرَثَته وأتْبَاعه واستدلُّوه على ربكم، واستنصحوه على أنفسكم واتهموا عليه آراءكم، واستغشوا فيه أهواءكم).

وفي الختام علينا أن نتعامل مع القرآن تعاملا عادلا فلا نقول فيه ما لا نعلم ولا ندّعي ما لا نفهم ولا نجادل فيه من غير دراية. وأن ندع ذلك للمتخصصين قولا وعملا.

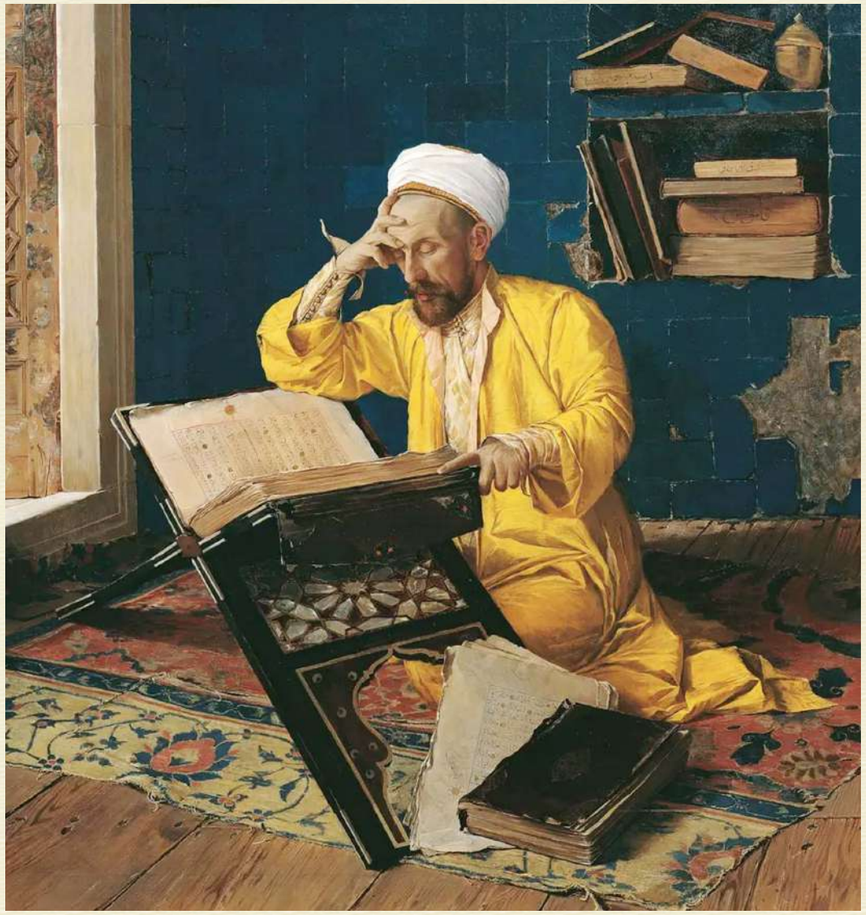

*أستاذ جامعي، باحث وأديب

حسن الجوني في محترفه

زيارة الى محترف الفنان حسن الجوني

لا سوق للوحة اليوم

بيروت ـ عبيدو باشا*

لم تغافله اللوحة وإن قفزت بسرعة الريح وهدوء القط بين يديه . اللوحة عند حسن الجوني كاللسان تواقة إلى الكلام . كلام تشكيل ، تلوين ، ألوان . لوحة بلا بلاط. لأن لوحته بطبقات عديدة. الطبقات فوق الطبقات . أوشحتها رقيقة ولا رقيقة، غير أنها شفافة وهي تنطوي على الأيام في الساحات بدون أن تغرق في شؤون البلاد بطرق مباشرة . شؤون البلاد في اللوحة ، لا شك . لا شك في أن لوحة الجوني انعكاس فجوات البلاد الشيطانية على سطحها وعمقها . ولو أنها ليست سطحها . لأن اللوحات لا تقول على السطح وحده ، حين تندفع إلى الأعماق كما تندفع حصى الغدير . لوحة الباص، كمثال، بلا بهجة ولا حبور في وجوه الصاعدين في الباص ، من يقلهم إلى مآويهم وهم غارقون في مدهم البلدي . مد لا ينتهي . كما لا تنتهي لوحة الجوني عند مطاف . لوحة بنهاية . هذا صحيح . غير أن نهايتها بلا نهاية . قد يبدو الأمر لعباً على الكلام ، غير أن لاعلاقة للعب على الكلام في الكلام على لوحة حسن الجوني . لوحة تمنح وجهها ما تمنحه . لوحة جوهر ، حين تفتر عن ماليس موجوداً على السطح فقط . لا يتبع الفنان اللوحة على نحو تقليدي . لذا ، لن ينوجد فنان من العالم في لوحته لأن لوحته هو . هو لوحته . وهي تخطو باتجاهه بدون ملل ، لكي يغير أحكامها في اللحظات الأخيرة ، ما بحاجة إلى رشاقة التفاح . ما بحاجة إلى التورط في خفض البصر إلى مساحة اللوحة ، مساحتها وحدها كمساحة رديف لمساحة العالم .

لا وجود للآخر في لوحة حسن الجوني إلا من جنون محكم الوثاق لدى هذا الفنان وذاك . يحب دالي اللوحات السائلة . يحب جوني اللوحات المائلة . لوحاته مائلة ، كما لو أنها تفتي بميلان بيروت ومدن الجنوب . جنوبي يرسم بيروت كبيروتي ويرسم الجنوب اللبناني لكي يتمعن القبض على توبته هناك . بيوت بيروت في لوحاته مائلة على البحر، على هواء البحر، على هواء ساحل الأبيض المتوسط. بيوت الجنوب دليل على جمال الكون وتنوعه . لا ينوجد على قرب من أحد إلا دالي من محاكاته لأشكاله بعيداً من الهندسات الدارجة. حتى أن الجوني رسم صلب السيد المسيح كما رسمها دالي. ولكن من منظور بؤري مختلف. إنهما في الخضم . خصمان ولا. تمر عين الواحد منهما على اللوحة كما تمر عاصفة فوق ظهر الأرض. لوحة مستطيلة أو مربعة . ولكنها تشترى بالسنتمتر. ضرب الطول بالعرض على سعر السنتمتر. هذا جزء من احترام اللوحة ، لأنها لديه إذا ذهبت إلى الآخر تموت ولا تنسى . أو لا تموت ولا تنسى . لوحة بضربات قوية يضطر من يريدها إلى الصلاة أمامها ، لكي تسود الصلاة على الصمت الممزوج بالإيقاعات ذات السلطان الغامر .

لوحة لا تزال مطاردة، مطلوبة من اتباعها . لأن ثمة اتباع لها . هذه ليست عقوبة مطبقة . هذا من ثبوت الفاعلية . لأن الرجل لا يرسم على دروج من يطلبون لوحته ، وهم يتمنون أن لا تظهر غريبة على حائط الصالون إذا ما مر عليها النظر بالخطف. أو بالتمهل. رفض الجوني رسم ما يريده المعلقون . برجوازيو ما بعد الحرب الأهلية أو أثرياء الحرب. ثمة من يقول أن للوحة الجوني ذراع ، إما أن تمدها لطالبها . أو لا تفعل . وهي إذا تفعل أولا تفعل ، تشتعل قبل الفعل على ساعاته في محترفه في منطقة المنارة ، حيث يظهر ندم الفنان على بعض اللوحات إذ اضطر إلى أن يكره نفسه على وجودها في منازل الآخرين .

حين يقف الجوني امام لوحته يقف كمن تأكد من اتخاذه قراراً. زيارته في محترفه الواقف في هواء المنارة التاريخية، الهادية السفن البعيدة ، زيارة لقلق لا يتفوه به إلا قليلاً . زيارة لتلال قرمزية ، سماء تلوح على وجهها أمارات التأييد لكل شراك التشكيل، بيوت مطعوجة، بائع صحف يصحف اللوحة بوجود كأنه وجود رحل متيم باللوحة ذاتها . لا يرسم إلا وهو يرتدي برنسه، بحيث لا يبدو مختلفاً عن طبيب على وشك القيام بعملية جراحية بيدين لا تخشيان التوكيد. الفنان جراح اللوحة . تلال قرمزية إذن ، بحر مرسوم بألوان الجوني، بحر يمنح الفرصة الأخيرة للسباحة على زعيق نوارسه المخفية وفوانيس مراكبه وهي تتعلق بها كما تتعلق الزوجات بأزواجهن .

خريج أكاديمية سان فرناندو، الأستاذ في الجامعة اللبنانية ، رئيس قسم الفن التشكيلي على مدى أعوام، لن يظهر تأثره بغويا إلا من لوحان الإمارات البعيدة في بعض اللوحات. رسام، ملون لا يقرب النحت . لا يعنيه النحت .ذلك أن النحت في اللوحة واحد من مظاهرها. لوحان دالي وغربا في جزء من لوحاته يستدعي التدخل في اللوحين . الإذن بالدخول، أولاً . ثم ، لا شيء سوى بداية النظر إلى خلال العمليات الفنية بحيث تصبح اللوحتان على مسافة ضوء . هذه حرفة الفنان . لا أبعد من مسافات الضوء . لا أسرع من الضوء. لا تعديل وقفات . بالعكس . حبٌ لا يندم على حب ما دام الكلام على رب واحد. رب واحد للفنانين. عشرات اللوحات المصفوفة على حيطان المحترف المتداعية، المستوفة اللوحة فوق اللوحة . اللوحات أنصار . لوحات بأحجام وأحجام . موجودة من وجود البشر فيها. لوحات واقعية سحرية ، تجريد لا يزال حياً في بعض اللوحات بتفوهات جديدة . ذلك أن الجوني مدرك لزمن التجريد البعيد. تجريد لم يعد يشبه نفسه منذ خمسينيات القرن الماضي. لوحة التجريد لوحة احتمالات لا لوحة تجريد لا يزال يقف وقفته القديمة من دون اعتدال .

لا يرسم الجوني على الورق أولاً. لأنه لا يخشى الحلول الفورية . وقفة صلاة أو إعلان حب . إثرها ، تقع اليد في صحة اللوحة على القماش المشدود في طريقه إلى الإتحاد بين العناصر . لوحة على حامل ، ألوان في وضعية المذهول بين اليدين . هكذا ، تقوم اللوحة على النفور المتبادل أولاً، في توجهها إلى صوتها الرخيم.

المدينة المائلة

بعدها، تبلغ العلاقة بين الجوني واللوحة أعلى درجات الوعي والفهم، بحيث لا يعودان يخضعان لقوانين العلماء ولا للتوقعات الجاهزة . روائح الألوان الزيتية كونٌ بما فيه. رائحة الألوان الزيتية طيبة وثقيلة.

زيت واكليريك. بلاستيك حراري شفاف. بلاستيك لا زجاج . لا يهتم بوضع قناع على وجهه حتى لا تدخل المحاليل في انفيه ومسام الوجه. لا يخشى الفنان ألوانه. الألوان جزء متحد به. تعل المواد بالألوان الزيتية يقول . يقول أن الألوان " تساهم في إرضاء المشغولات اللونية في اللوحة ،من قوة طباع الألوان على اللوحة. الأحماض بالألوان كالذخائر بالأسلحة. لا سلاح بدون ذخيرة".هذا جزء مما قاله الفنان حسن الجوني في حواري معه في محترف تفوح منه روائح اللاهوت التشكيلي. ذلك أن الجوني كغروتوفسكي في المسرح. لا شيء لديه، لا شيء بين يديه إلا المعبد والرهبان. المسرح معبد والممثلون رهبان. الجوني راهب معبده القديم ، مقصد الأثرياء والموسرين والأصدقاء والزملاء والرفاق . لذا ، علق على بابه كرتونة بخط اليد تدعو الزائرين إلى اختصار الزيارة، لأن العمر لحظة. "اختصر زيارتك، لأن عمراً لا يكفي لكتابة لوحة". مئات اللوحات، تشدّ، بدون أن تحتاج إلى درجات من الفهم إلا لمن يرى فيها تلويح اليدين . تجيء اللوحة من العالي إلى فرص الظهور . لا أشياء غريبة. لا شيء سوى بيوت بيروت والجنوب وكل ما يروقه أن ينوجد فيها من قرويين وفلاحين وأولاد المدينة المقهورين . مدينة مائلة بكل تفاصيلها. جموع الناس في بيروت حراس بيروت . ميلان المدن من العنف الساقط عليها منذ عشرات الأعوام . جولات الحرب الاهلية في بيروت. الإعتداءات الإسرائيلية على الجنوب اللبناني منذ أربعينيات القرن العشرين. "بيروت فضاء خاص لا يمكن ولوجه، بالألغاز والتهويمات وبالشهادات المزورة. ولدت في بيروت. عشت في بيروت. انعكس ذلك بشكل أساسي على لوحتي، ذات الهيكل البنائي الواضح، لمدينة ملموحة ومحسوسة ومكثفة باللوحة"، يقول وهو يغير وجهات الضوء في اللوحة. وهو يغير وجهات الضوء على اللوحة. باللوحة هتاف مكتوم . باللوحة توقع حدوث شيء ما بعد حدوثها . حدوث شيء باهر . سر من أسرار لوحة رجل لا يهمه أن يؤم الفنانين وهو يقف بين حراس »

المدينة . ناسها المغلولون ، المغلوبون.

المدينة على تعريشاتها في لوحة حسن الجوني . كأن بينهما نهوض واحد . لذا يقدمها بأحجارها، حجراتها، شوارعها نوافذها جهة الشمال واليمين ، بدون أن يحلي ما هو على ما هو عليه في مواضعه. المدينة هي المدينة، لا فسيحة ولا متجنبة. «لم أتوقع ذلك. وجدته في اللوحة، كما أجد وجهي كل صباح في المرآة. المدينة مستبطنة في اللوحة، لأنها لا تتجسّد كاملة فيها. صحيح أن فيها من الحنين إلى المدينة القديمة الكثير، غير أن منطق العلاقة بين الموضوع والمادة المرئية، لايدع الحنين يشوش على قوى التعبير»، يقول لـ «الحصاد».

بيروت في لوحة حسن الجوني، لا يشوبها الجماد، لأن عنوانها الأكبر في روحها الإيقاعية. التبصر باللوحة يقود إلى القراءة هذه. في اللوحة إيقاعات كثيرة. ثمة ما هو حميم على هذا الصعيد. لأن ما يرسمه الفنان حسن الجوني من بيروت، جزر بيروت الساحرة والمسحورة في آن، في تبادل الإيقاعات بين الساحر والمسحور . لذا، تحضر في اللوحة، بخيالاتها الأنثوية المتطاولة. بيروت أنثى العالم باللوحة. ليس هذا شأن مسقط الرأس. ذلك أن الجوني، يرسم السهول على درج موسيقي أو مدرّج موسيقي، هجّ من سوناتا حزينة. الشغف بالموسيقى واضح باللوحة. "يسم اللوحة شغف بالموسيقى والقراءات الشعرية. أجمع بين الرسم والشعر والموسيقى في لوحاتي. ترتبط الفنون هذه بلوحتي. هذا ما دأب عليه مبدعو لوحة «التجريد الموسيقي»، الفاصلة بين لغات شكلية مختلفة والجامعة بينها بصلات عميقة. بيد أن لوحتي لا تحسب على التجريد الموسيقي. تجمع بين ما هو مدرك وما هو مختبر بالحواس. اللوحة نتاج الحوار الدائم بين الأشكال والإشارات والبقع والخطوط وكتل الضوء والظل والحزوز والتلوين والدفق والتكثيف والتجسد. ليست هذه حكاية عجيبة من حكايات شهرزاد. إنه البحث الدائم عن مناطق الجمال. الأخير لا يذبل».

لوحة دوار، وهي تقنص اللحظات الاجتماعية في حياة الناس. لن يسير الناس في الفسح. الناس بالباص (البوسطة)، على شاطئ البحر مع الصيادين، بائع الصحف، بائع العصافير، مشاهد عشرات السنوات في لمحات تضع اليد على الوجوه ، تضغط عليها، تضغط على خدودها برفق لا لكي تروضها. لكي تقضي معها ما استطاعت من أوقات . اللوحات رحلات بطرق مستقيمة إلى مرتفعات اللوحة. باللوحات ذات التعبيرية المتقدمة خطوات على التعبيرية من صمت اللوحة القرنفلي. تركيز على العالم الداخلي للفنان . التعبيرية ، أن يرسم الفنان ما يشعر به من خلال ما يراه . لا أن يرسم ما يراه على ما هو عليه. الصمت في اللوحة عميق. للصمت صوت أقوى من الصوت. مشاهد متكرّرة من ميراث لا ينضب. حكواتي المقاهي الشعبية، لا يزال حياً في لوحات حسن الجوني. المقهى الشعبي، لا يزال حياً في لوحته. البحر الأبيض المتوسط، علامة العلاقة بأرض الأمتان العاطفي، لا أرض الولادة. تنطوي أعمال الجوني، بهذا المعنى على أشياء تبدو معروفة، غير أنها تتحول وهي تذخر بالتنشط في هوائها لكي ترتفع من مساحتها إلى مساحة العالم . إكمال معياري يقود إلى جذرية الجوني بعلاقته بالمساحات ، أصالته داخل هوادجها .

حسن الجوني فنان ورشة دائمة، لا فنان مرحلة ما بعد الدراسة. معلم في اللوحة. لوحة مفعمة بالغنائية الموحية. تلك لوحة حسن الجوني. لوحة «أرض موعودة، مفقودة. أشهد من خلال لوحتي على زمني وعلى تغير الأزمنة. لم تشخ اللوحة، غير أن لا سوق لها اليوم. لا علاقة لذلك بالسوية الفنية، لأن اللوحة اللبنانية ذات سوية لا تعلق في زمن ، لا تعلق على زمن. السؤال، سؤال المستقبل. ذلك أن اللوحة تعيش من نفسها على نفسها. إن مستقبل اللوحة مرهون، في لبنان، بمدى تحمل الفنان لمسؤوليته. لا يعرف مقدارها ولا حساسيتها سواه. عسى أن تصبح الحرية، منطلقاً حقيقياً للإبداع، بعيداً من الهاوية المستترة خلف ظلال الفوضى».

يقول: «إننا كائنات متجسدة تقدر، بلحمها، أن تلتقي العالم. عالم يضعها بامتحان مستمر ما استمرّ الفنان . إن ذلك لا يلزم أحداً بالحمق ولا بعدم الأصالة. كل فنان يطمح بالوصول إلى قمة مبتغاه وبالطريقة الأقرب إلى ذاته. وإذ تقود كل الدروب إلى روما على ما يقول المثل الشعبي، فهذا ليس معناه أن درب الذرى الجمالية مباحة ومستباحة. الأمر يستوجب، المزيد من الأبحاث والمراجعات للمخزون الثقافي، بهدف وضع اللوحة اللبنانية في المسار العالمي الواعي».■

*كاتب ومسرحي

وجهة نظر

للتاريخ أن يتأرجح لاعباً بين حبرين!

البروفسور
نسيم الخوري*

لنقر ونعترف أنّ لبنان يبدو لي أحياناً وطناً أو بلداً فريداً قديماً قدم التاريخ وجديداً لكنه غريب وعجيب يتفيّأ الأرز وفيه يملكون المتوسط لكن يستحيل جمع أهله فوق مساحة نقولها خجلاً 10000 متر مربع أعنى "بقعة" خضراء في دولة كبرى من العالم وفيه ينشدون اليوم قبل الانتخابات البرلمانية:

«يا مهاجرين رجعوا غالي الوطن غالي». انتخبوا ممثلينا في الداخل وفي الخارج فيجنّ بعض الداخل وتبدأ الصراعات بما ملكت ألسنتنا وتواريخنا شتائم وانقسامات ولربّما يتمّ تزييت الأسلحة؛ يبقى هذا اللبنان ويتقدّم ويقفز "ولدا" عربيا غربياً عالمياً محبوباً شاطراً في الحريّة والحشرية ناسياً حجمه حاشراً مساحته أبداً في الصفوف الأولى والحريات المطلقة.

سأل أحدهم بجديّة: «متى نمنح الجنسية اللبنانية للرئيس دونالد ترامب». سألته لماذا؟ قال: يتكلّم مثلاً، فتخاله من بلدة «القليعات» في «كسروان» أو «ضهور الشوير» في «المتن» من جبل لبنان أو «كفرعاقا» في «الكورة» شمالي لبنان يسمّي أصدقاءه وأقربائه وجيرانه وجلساءه اللبنانيين وبتنا من أهل البيت الأبيض نتابع مراسلينا الصحفيين مباشرة أمام مدخله.

أسميته وطن «الميديا ستيت» باعتباره المقصلة الريادية الحاضرة في تواريخ الديمقراطيات يقفز فوق قوانين مونتسكيو فرنسا وديمقراطيته ويتجرأ على فساد السياسة فترقص الحرية المطلقة تبعثر هيبة السلطات والديمقراطيات ومدّعي السلطات الديمقراطية الثلاثة لتملأ الشاشات والساحات بالحيرة والتوجس والانتقامات.

لي الإشارة بحصاد وطني لا حدود له ولا من يقف بوجهه عبر أجيال من طالباتي وطلابي في كلية الإعلام والتوثيق في مبنى عتيق من منطقة نائية في الفنار من جبل لبنان.

هناك بدأ الصوت الأنثوي يصدح وراح يتجاوز معظم الأصوات باسم الحرية سواء أكان صحيحة أو خاطئة. الأنثى هي الأصل في الإعلام إذن. لا فضل لأحد لأن العصر السياسي الراهن بات محكوماً لا حاكماً إذ أن كلمة جريئة تنزلق بإصبع على وسائل التواصل قد تنسف او تخلع مسؤولاً أو مديراً أو نائباً وزيراً عظيما يدّعي من على كرسيه أكاذيب مهما علت مقاماتهم وحملت أو حم هاماتهم.

بالمقابل والصحيح أيضاً وأيضاً أنّ الحال يبدو اليوم وكل يوم في لبنان مضروباً بألف ويوم عبر الحريات المطلقة وبالأساليب والخطط والقرارات والاجتهادات المستوردة كأنها المصانة دولياً بما يشبع فضول العيون والآذان والإرادات الشعبية فضحاً ودحضاً وتهديماً وتحدياً للسياسيين والقضاة حيال كلّ تحريم أو إدانة أو حجب ما عرف أو ما كان يُعرف بالممنوعات أو بالمحرّمات قولا او فعلا. باتت المحرمات أجيالاً من الحريات الأقوى في المقال والمكتوب والمروي كأنّها الهندسة الشبابية الفريدة للمستقبل تحقيقا لبلاط المداخل نحو السياسات والقرارات وبهدف الطموح نحو بدايات الخروج من التواريخ الدموية الثابتة والمُكلفة.

هكذا تتقدّم الدول ويتعثر سياسيو العالم حيال عالمية أجيال الشابات والشباب في التعبير والحضور والنقد والتعرية وهم يسبحون في مياه حرية العولمة عبر الالواح المضيئة الذكية والركض السريع والسهر مع الدنيا في صناعات الذكاء و"اللوغاريتميات" التي تشغل الدنيا نسبة جدنا الخوارزمي المسلم الذي عاد يدمغ سياسات الزمان بسرواله الأسود المتدلي العتيق.

نعم، يتأرجح لبناننا الجديد هذا الذي اعتبرته مثالاً متحيّراً بين التطور والتنوع في صفوف الدول غير المستقرة حتى اللحظة حاصداً هذا النص الإيجابي الحالم، بينما ما زالت تُقيم «إسرائيل» وتتقدّم فوق السنة الدول بماضيها وحاضرها تلويحاً ومستقبل مسكون بالملامح التي تتجاوز كوارثها التي لا يمكن تصديقها ونحن في الطريق فيما كان يُسمّى أو يُعرف بالتطبيع.

من يُخرج اسرائيل من بين القوسين؟

يكفي استرجاع النصوص القديمة والراهنة المتراجعة والمتحررة لماماً تأكيداً لهذا الأمر. المسألة كانت أكثر من مقدّسة في أحرام الكتابة العربية لكنها راحت تفقد معانيها عبر تاريخها الدموي الهائل في غزة وجنوبي لبنان تستلّ طهارتها خجولةً من المقدس أو من الخوف لا من السياسات الحرة العارية عبر حقول الألسنة والنصوص المتملصة من الماضي والحاضر.

كنت تقرأ فلسطين أو فلسطين المحتلّة أو الأراضي المحتلة أو الغاصب الإسرائيلي، إلى تسميات أخرى لا حصر لها تنزّ بالتراجع الخجول الملفوف بالحيرة والتخلّي الساكت، لكنّ الجرح لم يلتئم بعد لا في غزّة حيث تُفرغ أكياس الخبز ليتمّ حشوها بالجثث الطرية ولا في جنوبي لبنان مقابل الجروح التاريخية التي توسّعت ولم تعرف الاسوداد ولا اليباس منذ 1948 حتى 18 شباط/ فبراير 2025 موعد الانسحاب الإسرائيلي من الجنوب اللبناني المدمّر محتفظاً بخمس من التلال شمالي نهر الليطاني تطل على جنوبه في إسرائيل بانتظار تاريخ تطبيق القرار الدولي 1701 نهائياً وفق نصوصه الأممية المعقّدة، والذي تمّ اعتباره من أطول نصوص القرارات الدولية في تاريخ مجلس الأمن الدولي.

وللتكرار نستعيد كيف فاحت في فضاءات الأجواء السياسية والإعلامية العربية والدولية «السيناريوهات» المتلاحقة التي راحت تُبشّر وفقاً لاستراتيجيات إعلامية وسياسية دقيقة الإخراج والشغل عن تجدد الكوارث بين النيل والفرات منذ تحرّك القلم بين الأصابع موقّعاً على اتفاقيات كامب ديفيد الذي جرّنا منقادين نحو أوسلو وبعدها إلى مدريد ليثمر التاريخ الغزو الضخم للعراق الذي انهالت معه ملامح المسؤوليات الكبرى لتظهر ملامح القبض الدولي العام ومنظماته الإنسانية على المشرق العربي بانتظار فصول الدماء المتلاحقة فصلاً إثر آخر.

ماذا يعني الحبر بالنسبة لمن يكتب في هذا الشرق الأوسط سوى القهر المقيم في غبطة العزلة والرتابة والشيخوخة التي تجعلك كلّها، قبل أن تسمّي نصوصك وتشاورها وتنشر بعضها على الشاشات وتطلقها وتتفاهم حول قرانها ولباسها ومهرها ومستقبلها وحصادها سوى الحرص على إثبات القدمين في مكانك. أشقى الكتابة وأصعبها عندما يتأرجح التاريخ بين حبرين: حبر النفط وحبر الماء يختلطان ببحور الدماء ومحيطاتها وتحدياتها التي تُربك مستقبل القيادات. ■

كاتب لبناني وأستاذ مشرف في المعهد العالي للدكتوراه.
* عضو الهيئة العليا للإشراف على الإنتخابات في لبنان
drnassim@hotmail.com

حضور متميز في المهرجان الدولي للسينما الإفريقية بخريبكة

48 سنة من السينما الإفريقية في أعرق مهرجان بالمغرب

المغرب ـ سعيدة شريف*

بحضور 350 سينمائيا من 45 بلدا إفريقيا واختيار موريتانيا ضيف شرف، تم الاحتفاء بحوالي نصف قرن) 48 سنة(من السينما الإفريقية في الدورة 25من المهرجان الدولي للسينما الإفريقية بخريبكة، التي نظمت ما بين 21 و28 يونيو/ حزيران الماضي، وعرفت تميزا كبيرا على مستوى قيمة الأفلام المعروضة ومن ضمنها الأفلام النسائية المغربية التي حصدت مجموعة من الجوائز القيمة في مسابقة الأفلام الطويلة والقصيرة، وعلى مستوى التنظيم والنقاشات السينمائية بين المخرجين والفاعلين السينمائيين المغاربة والأفارقة، حيث جمع المهرجان بين الفرجة السينمائية والتفكير النقدي وتمحورت نقاشات هذه الدورة بالأساس حول الروابط بين السينما والذكاء الاصطناعي الذي فرض نفسه على مختلف الميادين، بما في ذلك الفن والسينما، حيث حملت الدورة شعار «من الحكواتيين إلى الخوارزميات.. السينما تتطور»، كما استعاد المهرجان تقليده التاريخي المعروف بـ "لقاءات منتصف الليل"، حيث كان لضيوف المهرجان لقاء مع الناقد السينمائي اللبناني إبراهيم العريس، حول مواضيع الذكاء الاصطناعي والنقد السينمائي العربي، إلى جانب إثارة سير بعض النقاد الكبار في تاريخ السينما العربية وما كان يجمع بينهم ثقافيا وإنسانيا.

وفي هذه الدورة الفضية من هذا المهرجان الذي يعد أعرق مهرجان في المغرب، تم تأسيسه عام 1977 من طرف الفاعل السينمائي الكبير ومؤسس الأندية السينمائية بالمغرب ومدير المركز السينمائي المغربي الراحل نورالدين الصايل، لم تقتصر عروض الأفلام على مدينة خريبكة التاريخية المعروفة بإنتاج الفوسفاط، بل شملت المدن المجاورة لها (بني ملال، خنيفرة، بن جرير، الفقيه بن صالح، واد زم، أزيلال)، حيث خصصت عروضا سينمائية موجهة للأطفال تفعيلا لمبادرة تهدف إلى تسهيل ولوج هذه الفئة إلى الفن السابع، كما اقتحم المهرجان أبواب السجن المحلي لتنظيم النسخة السادسة من «المهرجان الثقافي للسجناء الأفارقة بخريبكة»، وهو أحد أبرز أحداث هذا الموعد السينمائي القاري الذي يأتي في المرتبة الثالثة قاريا بعد «أيام قرطاج السينمائية» بتونس، ومهرجان «فيسباكو» ببوركينا فاسو.

موريتانيا وتكريم سيساكو

في افتتاح الدورة 25 من المهرجان الدولي للسينما الإفريقية بخريبكة، كانت لحظة تكريم المخرج والمنتج السينمائي الموريتاني عبد الرحمن سيساكو، قوية ومؤثرة، لأنه بفضل هذا المخرج الموهوب الذي اشتهر بأعماله السينمائية التي تتناول الصعوبات التي تعترض الأفارقة من فقر وهجرة وبطالة وفراغ وإرهاب، كفيلم «تمبكتو» الذي حصل من خلاله على العديد من الجوائز العالمية.

وعلى الرغم من انطلاق السينما الموريتانية في ستينيات القرن الماضي، فإنها ما تزال مغمورة مقارنة بنظيراتها من القارة الإفريقية، وذلك بسبب العديد من الإكراهات والتحديات التي تواجه المشتغلين في هذا القطاع بموريتانيا، وعلى رأسها غياب الدعم والإنتاج داخل البلد. وتعود أول مشاركة للسينما الموريتانية في مهرجان خريبكة إلى دورته الأولى عام 1977، لتغيب بعد ذلك، كما قال منظمو المهرجان، ليسلط الضوء عليها فيما بعد يفضل المخرج عبد الرحمن سيساكو بمشاركاته المتعددة التي شملت أفلامه وتحمله لمسؤولية عضوية لجنة التحكيم في المهرجان، قبل أن يحظى بتكريم خاص في هذه الدورة من هذا المهرجان العريق، ويتم تسليط الضوء على السينما الموريتانية وتاريخها، وطرح تساؤلات حول واقعها الحالي، الذي يعتمد أساساً على المبادرات الفردية وجهود مكونات المجتمع المدني، في بلد شفهي معروف بـ "بلد المليون شاعر"، حيث تطرح السينما اليوم كأداة تربوية وثقافية لتعزيز الوعي المجتمعي وتوثيق الهوية الوطنية. ومن بين المخرجين الموريتانيين نذكر: المخرج عبد الرحمن أحمد سالم مؤسس دار السينمائيين الموريتانيين، والمخرج العصامي محمد هندو، والمخرج الشاب سيدي محمد الشيقر، والمخرج محمد ولد اشكونة صاحب فيلم "المستتر"، وهو أول فيلم موريتاني يعرض على منصة "نيتفليكس" العالمية في نهاية مارس/ آذار 2023، ثم المخرجة مريم بنت بيروك، وهي أول مخرجة في البلد، وصاحبة وثائقي "الباحثات عن الحجر" المتوج عام 2009 بجائزة الأمل الوثائقي بمهرجان السينما الإفريقية ببروكسل (بلجيكا)، والمخرجة لالة كابر صاحبة فيلم "مشاعر أخرى» الذي قوبل بالرفض والتهديد بسبب تناوله لقضايا مسكوت عنها.

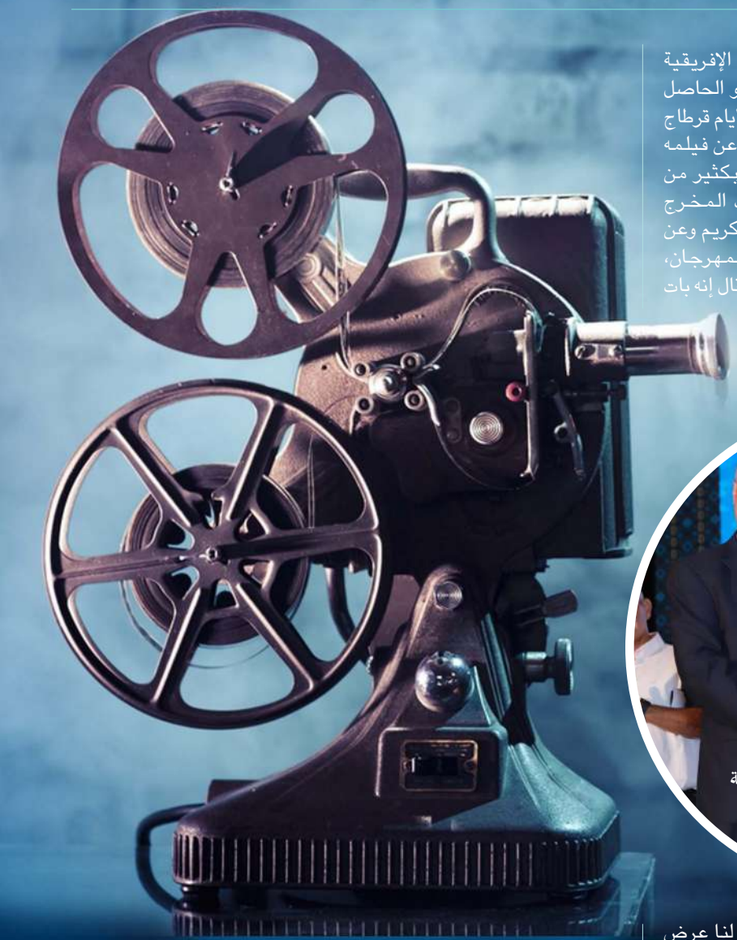

تتويج المخرجة المغربية ليلى التريكي

مدير المهرجان عزالدين كريران

تكريم سينغالي ومغربي

وإلى جانب المخرج الموريتاني عبد الرحمن سيساكو حظي المخرج السينغالي، منصور صورا واد، بتكريم خاص خلال هذه الدورة، وذلك تقديرا لمسيرته الفنية الثرية وإسهاماته المتميزة في تعزيز حضور السينما الإفريقية على الساحة الدولية. وهو الحاصل على التانيت الذهبي في أيام قرطاج السينمائية عام 2003 عن فيلمه الطويل «ثمن العفو». وبكثير من التأثر والاعتزاز تحدث المخرج السينغالي عن هذا التكريم وعن ارتباطه العاطفي بهذا المهرجان، الذي زاره منذ بداياته، وقال إنه بات يحتل مكانة متميزة في المشهد السينمائي الإفريقي، ويمثل "واجهة مهمة تتيح لنا عرض صورنا الإفريقية".

ويأتي هذا التكريم، كما قال مدير المهرجان عزالدين كريران، احتفاء بإبداعه السينمائي الذي عكس عمق القضايا الاجتماعية والثقافية في إفريقيا، معتبرا أن "السينما الإفريقية قطعت أشواطا مهمة وحققت تقدما كبيرا في مختلف مجالات الإبداع، وأصبح الإنتاج السينمائي في القارة يفرض اليوم نفسه بقوة كطاقة إبداعية على الساحة الدولية».

وإلى جانب هذين المخرجين، تم تكريم الفنان المغربي عمر السيد، أيقونة مجموعة "ناس الغيوان" التاريخية، وأحد الرواد البارزين في الفن السابع في اختتام المهرجان، وذلك تقديرا لمساره الطويل والحافل بالعطاء السينمائي والتلفزيوني والمسرحي منذ سبعينيات القرن الماضي، حيث يمكن ذكر دوره المتميز في فيلم «تاغنجة» للمخرج عبده عشوية عام 1980، و«الحال» للمخرج أحمد المعنوني عام 1981، و«ابن السبيل» للمخرج محمد عبد الرحمان التازي، و«زنقة القاهرة» للمخرج عبد الكريم الدرقاوي 1998، و«الحلم المغربي» مع جمال بلمجدوب 2007، و«المطلقة» للمخرج رشيد العروسي 2017، إلى جانب مساهماته في أفلام أجنبية.

يتميز المهرجان الدولي للسينما الإفريقية بخريبكة بتقديم مجموعة من الإنتاجات السينمائية القارية المهمة، وقد تجلى هذا أيضا في الأفلام المشاركة في الدورة 25 من المهرجان وفي باقي الدورات السابقة، حيث اعتبر الناقد والإعلامي المغربي المتخصص في المجال السينمائي خالد لمنوري، والمتتبع لهذا المهرجان، أن خريبكة "عاصمة للسينما الإفريقية" بامتياز، وذكر في تصريح لمجلة "الحصاد" أن المهرجان تأسس عام 1977 بمبادرة من مجموعة من السينمائيين المغاربة والأفارقة على رأسهم الراحل نور الدين الصايل، الذي كان يتردد على مدينة خريبكة باعتباره رئيسا للجامعة الوطنية للأندية السينمائية، وبحكم احتضان المدينة أقدم ناد سينمائي بالمغرب (1934)، وهو النادي السينمائي بخريبكة، الذي استفاد من وجود بنية تحتية ثقافية وفرها «المكتب الشريف للفوسفاط» لهذه المدينة العمالية.

وأضاف لمنوري أنه «على مدى 48 سنة و25 دورة، رسخ المهرجان الدولي للسينما الإفريقية مكانته كواحد من أبرز المواعيد السينمائية بالقارة، ليحتل اليوم موقعا متقدما. وبفضل الجهود المتواصلة لمؤسسة المهرجان الدولي للسينما الإفريقية المنفتحة »

على العديد من الهيئات السينمائية بالمغرب وإفريقيا، أصبح المهرجان من أنجح التظاهرات السينمائية، فهو من التظاهرات السينمائية القليلة التي تستقطب جمهورا كبيرا، بفضل جودة العروض السينمائية وتنوعها، ومصداقية الجوائز، وغنى الفقرات الموازية، وحسن التنظيم، والحرص على احترام برنامج المهرجان وتنفيذه بنجاح».

وقد عرفت دورة هذه السنة مشاركة 15 فيلما طويلا من 12 بلدا في مسابقة الفيلم الطويل، من ضمنها أفلام وصلت إلى العالمية، وهي: «قنطرة» لوليد مطار (تونس)، و«قصة الخريف» لكريم مكرم (مصر)، و«سينما منتصف الليل» لمازن لطفي (مصر)، و«شاي أسود» لعبدالرحمن سيساكو (موريتانيا)، و«قرية قرب الجنة» لموه هاراوي (الصومال)، و«موكوكو/ ارتفاع» لأنجيلي اكوير بورو (الطوغو)، و«اومونكاني» لجويل كويزي (رواندا)، و«نكينزي» لرحيما نافوكا (أوغندا)، و«صاكو/ حلم الرب» لفوسيني مايكا (مالي).

وقد توجت في هذه الفئة من المسابقة الرسمية، التي تكونت لجنة تحكيمها من المخرج الرواندي جويل كاريكزي رئيسا، ومن الأعضاء: المخرج المغربي محمد عهد بنسودة، والممثلة المالية فاتوماتا كوليبالي، والسينمائي البوروندي ليونس نكابو، والمخرج السينغالي كلارنس توماس ديلغادو، ستة أعمال سينمائية، حيث عادت الجائزة الكبرى عن جدارة واستحقاق إلى الفيلم الصومالي «قرية قرب الجنة» لمو هراوي الذي حصل أيضا على جائزة النقد. وجائزة لجنة التحكيم الخاصة للفيلم المغربي «وشم الريح» لليلى التريكي، وجائزة الإخراج تحصل عليها أيضا الفيلم المغربي «راضية» لخولة أسباب بنعمر. وتوج بجائزة السيناريو فيلم «شاي أسود» للموريتاني عبد الرحمان سيساكو. أما جائزة التشخيص إناث ففازت بها الممثلة سارة حناشي عن دورها في الفيلم التونسي "قنطرة" لوليد مطر، كما منحت لنفس الفيلم جائزة دون كيشوط. وفاز بجائزة التشخيص ذكور الممثل مامادو ديات وحصل الفيلم المغربي «كزابلانكا/ دكار» لأحمد بولان على تنويه خاص.

وفي فئة الأفلام القصيرة، التي عرفت مشاركة 15 فيلما قصيرا من دول متعددة هي: تونس، ليبيا، مصر، السينغال، البنين، ساحل العاج، الطوغو، إثيوبيا، رواندا، بوركينا فاسو، الكاميرون، جمهورية إفريقيا الوسطى، والمغرب، وتكونت لجنة تحكيمها من الناقد السينمائي والإعلامي المغربي بلال مرميد رئيسا، وعضوية كل من الممثل التشادي يوسف دجاورو، والمخرجة المالية ديارا مولدي، فقد فاز بالجائزة الكبرى عن جدارة الفيلم المغربي «شيخة» لأيوب اليوسفي وزهوى راجي، وعادت لجنة التحكيم الخاصة للفيلم البينيني «عرس الماء» لأوريليل جيويا فيما تحصل الفيلم الليبي «صعود.. خارج نظام المراقبة" لأسامة رزق على جائزة الفيدرالية الإفريقية لمهرجانات السينما والسمعي البصري.

المخرج الصومالي يتسلم الجائزة الكبرى

تميز سينمائي نسائي مغربي

وما يسجل خلال هذه الدورة الفضية من المهرجان الدولي للسينما الإفريقية بخريبكة هو تميز وتألق السينما التي تخرجها نساء مغربيات، حيث حصلت المخرجات المغربيات على جوائز مهمة خلال هذه الدورة، فالمخرجة المغربية ليلى التريكي حصلت على جائزة لجنة تحكيم مسابقة الأفلام الروائية الطويلة التي تحمل اسم الفاعل السينمائي الراحل نورالدين الصايل، وذلك عن فيلمها الروائي الطويل الأول «وشم الريح»، والمخرجة الشابة خولة أسباب بنعمر حصدت جائزة الإخراج التي تحمل اسم المخرج البوركينابي الراحل إدريسا ويدراوغو عن فيلمها «راضية»، كما حصلت المخرجة المغربية زهى راجي في إخراج مشترك مع زميلها أيوب اليوسفي عن الجائزة الكبرى في فئة الأفلام القصيرة عن فيلمها «شيخة»، الذي نوهت بفنيته العالية لجنة التحكيم ومتتبعو عروض المهرجان.

وحول هذه الدورة وتتويج فيلمها الروائي الأول «وشم الريح» قالت المخرجة المغربية ليلى التريكي في تصريح لـ«الحصاد»، إن مهرجان السينما الإفريقية بخريبكة تظاهرة سينمائية عريقة استطاعت أن تخلق قنطرة للسينما الإفريقية بالقارة السمراء، وتفتح باب الحوار حول الثقافات الإفريقية ولغتها السينمائية الخاصة، التي استطاعت في السنوات الأخيرة أن تفرض نفسها برؤيتها الخاصة وجماليتها وانفتاحها على الضفة الأخرة، وهو ما أحدث تلاقحا فنيا كبيرا لدى مجموعة من المخرجين الأفارقة أبرزهم عبد الرحمن سيساكو.

وأضافت المخرجة ليلى التريكي إن تتويج فيلمها الروائي الطويل الأول "وشم الريح"، الذي قضت سبع سنوات في الاشتغال عليه، بجائزة لجنة التحكيم التي تحمل اسم الناقد والفاعل السينمائي المغربي الراحل نورالدين الصايل، «شرف كبير ومسؤولية واعتراف بمجهودها، وهو ما سيمنحني شحنة قوية للاشتغال على فيلمي الثاني. كما أن التفاعل مع فيلمي في المهرجان كان كبيرا، خاصة أنه يتناول قضية إنسانية وكونية تتعلق بالهوية المتشظية لأبناء المهاجرين، وهو ما سيدفعني إلى المزيد من التعمق والحفر في أعمالي المقبلة».

وحول تميز السينما المغربية النسائية في هذه الدورة الفضية من المهرجان، أوضحت المخرجة ليلى التريكي أنها لم تأت من فراغ بل هي "ثمرة اشتغال متواصل على المقاربات الفنية والكتابة والصورة والإخراج من أجل تحقيق الذات، في مجال ظل لسنوات حكرا على الذكور"، مشيرة إلى أن السينما المغربية بشكل عام يحضر فيها مزيج رائع بين الثقافة الإفريقية والأمازيغية والأندلسية، وذلك بحكم موقع المغرب الجغرافي، وهو ما يمنح هذه السينما فرادتها وتنوعها.

المهرجان الدولي للسينما الإفريقية بخريبكة ليس مهرجانا عاديا يقتصر على عرض الأفلام وتسليم الجوائز فقط، بل هو مدرسة مفتوحة لتعلم السينما وتأطير الشباب، وفتح نقاشات غنية حول السينما وقضاياها، وحول الأعمال السينمائية المعروضة، وتظاهرة للاحتفاء بالسينما الإفريقية ورموزها وإعادة الاعتبار لها، لدرجة أنه أطلق أسماء المؤسسين على جوائزها: الجائزة الكبرى عصمان صامبين، جائزة لجنة التحكيم نور الدين الصايل، جائزة الإخراج إدريسا ويدراوغو، جائزة السيناريو سمير فريد، وجائزة أول دور نسائي أمينة رشيد، ثم جائزة أول دور رجالي محمد بسطاوي.

ولهذه الأسباب كلها، فقد أصبح المهرجان موعدا سنويا مهما بالنسبة إلى الكثير من الفاعلين في المجال السينمائي الإفريقي. ■

*إعلامية وكاتبة من المغرب

النص كاملاً منشوراً على موقع «الحصاد»

شبابك مفتوح

رحلة مع الشيخ عبد الله العلايلي إلى «الديار المقدسة»

(2 من 2)

رؤوف قبيسي*

قلت إني أمضيت مع الشيخ شهراً او بعض شهر، وأكلت أثماراً شهية من حديقته الغناء، وأزكمت خياشيمي بأريج ورد جوري، لا أذكر أني شاهدت أجمل منه في حياتي. لكن هل تعرف أيها القارىء الكريم كم من الوقت أمضى الشيخ يتعهد تلك الحديقة، ليقدم لي ولك تلك الورود الزكية العطرة، وتلك الأثمار الطيبة؟

سبعون سنة وأكثر. كان في العاشرة من عمره عندما أرسله أبواه إلى «الأزهر الشريف» فحفظ القرآن وألفية ابن مالك، وطائفة كبيرة من السير والأحاديث. سبعون سنة وهو يحرث الأرض البور، ويتعهد صغار الزرع كما تتعهد الأم طفلها الرضيع، ويعتني بالأشجار التي التهمنا كل أثمارها في شهر وبعض شهر... سبعون سنة وهو يزرع، وفي شهر وبعض شهر نحصد نحن الزرع كله ... يا للمفارقة!

عاش الشيخ على كفاف يومه، يدرس ويتأمل ويسهر الليالي الطوال، لا شراب أمامه إلا أكواب من الشاي على طبلية من الخشب مستديرة. لم تخلبه المفاتن، وكانت حياته حرة متواضعة أصيلة، وكنت كلما رأيت صورته في الصحف جالساً القرفصاء، تذكرت شاعرنا المعري وحياته الخشنة المتواضعة. كان الشاعر الضرير قد أكل دبساً ذات يوم، فوقع بعضه على صدره، فلما دخل عليه تلاميذه سألوه: هل أكلت دبساً يا معلمنا؟ فاحمرت وجنتاه وأجاب: نعم نعم، قاتل الله الشره، وحرّم الدبس على نفسه طوال الحياة.

أراك أيها القارىء الكريم قد ارتحت لهذا الشيخ الجليل، وتريد الآن أن تسأله عن الدين الذي به يدين. سأخفف عنك وأجيبك، لأنني سبق وطرحت عليه هذا السؤال. كان الوقت ليلاً، وكانت السماء مرصعة بالنجوم، والبدر يتلألأ كصحن من الفضة. أوقف الشيخ ناقته وقال لي: «ديني هو الإيمان برب العالمين الرحمن الرحيم»، هو مثل هذه النجوم، يراها البشر أينما ارتحلوا وحلوا، ومن أي درب سلكوا، درب القدس والناصرة، والخليل والجليل، ومكة والمدينة، وكل مكان في هذا العالم.

عندما سألته عن جوهر الدين، أخرج من جعبته ورقة خط عليها هذه الكلمات: «جوهر الدين في غايته العليا هو الملاءمة والمواءمة بين الديانات جميعها ونبذ الفرقة»، وعندما سألته ما إذا كان القرآن يدعو إلى ذلك، فتح المصحف الصغير ودلني على آية من سورة الشورى تقول: «شرع لكم من الدين ما أوصى به نوحاً، والذي أوحينا إليك، وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا».

لا أخفيك أيها القارىء الكريم، أنني وجدت صعوبة شديدة في قراءة تلك الآية، لأن الوقت كان ليلاً كما بينت لك آنفاً، ولحد الآن، لا أعرف كيف تمكن الشيخ من فتح ذلك المصحف الصغير، على تلك السورة وعلى تلك الآية، ومن دون جهد يذكر، مع أن عينيه صغيرتان، ويكبرني بنحو أربعين عاماً. لم أعرف السبب إلا عندما يممتُ شطر الهند ذات سنة، وهناك في قرية من تلك البلاد، رأيت جمعاً من الناس من كل شكل ولون، قد جلسوا يتفيئون ظل سنديانة عتيقة، فيما كان أحد البراهمة يتحدث إليهم بلغة هادئة متزنة. كنت على عجلة من أمري، فلم أسمع كل ما قاله ذلك الحكيم، لكن أذكر أنني سمعته يقول: «من الناس من يسمع في الليل اصواتاً لا يسمعها الآخرون، ويرى ما لا يراه الآخرون»، عندها تذكرت تلك الواقعة بيني وبين الشيخ، في ذلك الليل الصافي الأديم.

□■□

تقدم الليل ودب النعاس في أجفان الشيخ. بسط لحافه ونام قرير العين، فيما بقيت أنا يقظاً أفكر في كلامه وريح الجنوب الحارة تلفح وجهي. غلبني النعاس فنمت، ثم أفقت بعد ساعات مذعوراً. أحس الشيخ بحالي فقال لي: ما بالك قد أفقت من نومك يا بني؟ أجبته بأني رأيت مناماً هز قلبي هزاً عنيفاً، رأيتني جالساً على مرتفع من الرمل وندف الثلج تتطاير من حولي، كأنها جوالح القصب أو القطن. بعد هنيهة شاهدت من البعيد منظراً ظننته رؤوس أشجار النخيل، إلى أن أدركت بعدها أنها لم تكن إلا هوادي الخيل وأطراف الرماح. كان المشهد مهولاً، قافلة من رجال على الخيول يرفعون رايات سوداء، وأسنة على رؤوسها رؤوس بشرية، يتقاطر منها دم أحمر قاتم. لم أستطع أن أتبين وجوه الخيالة، كانت ملفوفة بغترات سوداء، وعلى يمين القافلة سبايا تلفحت كل واحدة منهن بنقاب أسود.

الشيء الغريب أن الشيخ عندما سمع كلمتي الأخيرة سألني: «هل كان في حوزتهم مصاحف؟». قلت: «كانوا يحملون كتباً يصعب علي القطع بأنها كانت مصاحف». ثم عاد وسألني: «هل كانوا يحملون رايات عليها عبارة الله أكبر، أو شيء من هذا القبيل؟»، هالني سؤاله فقلت: «نعم، رأيت رايات عليها عبارة لا إله إلا الله محمد رسول الله».

سكت الشيخ سكوتاً رهيباً، وأخذ يتمتم بكلمات لم أستطع أن أتبين منها حرفاً واحداً. مرت دقائق خلتها ساعات، ثم رأيته يسحب من جعبته قلماً وورقة وبدأ يكتب مع طلوع الفجر. عندما أنهى الكتابة طوى الورقة ودسها في جيب جلبابي، ثم قال لي بصوت مبحوح تكاد زفرات الموت تخنقه «سنتابع الرحلة يا بني وأمرنا إلى الله، لكن أطلب إليك الا تفتح هذه الورقة، إلا بعد عشرين عاماً من رحيلي عن هذه الأرض».

□■□

أظنك تريد أن تعرف أيها القارىء الكريم ما كتب الشيخ في تلك الورقة، أليس كذلك؟

كنت أريد أن افصح عن هذا السر، بعد أن تنهي رحلتك مع الشيخ، وتسمع ما قال لسانه وخط يراعه، لكن لا بأس، سأقرأ لك ما كتب، لأن عشرين عاماً قد مرت على تلك الرحلة، وعلى ذلك العهد الذي قطعته للشيخ ولنفسي.

كتب الشيخ ما يأتي:

«عشت حياتي كلها أحمل قنديلاً أين منه قنديل ديوجين. آمنت بالإسلام رسالة محبة وغفران وتسامح، وعملت بكتاب لا عصبية فيه ولا تفرقة ولا شيعاً ولا مذاهب، ولا حبل فيه إلا حبل الله الجامع المانع. آمنت بأن الناس، كل الناس في هذا العالم، أخوة لي في الإنسانية، الكريم منهم هو التقي الذي يخاف الله ولا يفتك بعباده، بقطع النظر عن الطريق التي يسلكها في التعبد، لأن الله لو شاء لجعلنا كلنا أمة واحدة. في الأزهر الشريف رأيت أن لكل شيخ طريقة، ثم علمتني الحياة أن الأعمال بالنيات، ولكل أمرىء ما نوى، وأن المهم أن يعترف كل منا بالآخر، لأن هذا هو السبيل الوحيد للتواصل السمح».

«أيدت الزواج المختلط بين المسلمين وأهل الكتاب، لأن المسألة كانت تتصل من بعض جوانبها بما هو حيوي وتعايشي، ولأنها، أي المسألة، وإن تك فقهية، فإنها تؤول بدورها إلى مشكلة وطنية، أو قل هي عقبة دون التآخي الوطني الأكمل. لم أسع إلى مجتمع مدني، لأن هذا في الإسلام من تحصيل الحاصل، ولأن الزواج في الإسلام عقد مدني من أساسه. لم أمهد السبيل إلى العلمانية، الحلانية كما سميتها، لأن هذا أيضاً من تحصيل الحاصل، فالإسلام لا يعرف الطبقات، ولا يعترف بكهنوتية إكليركية، والآية الكريمة في هذا الباب واضحة: «قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم، ألا نعبد إلا الله، ولا نشرك به شيئاً، ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله».

هذا ما كتب الشيخ في الورقة التي دسها في جيب جلبابي. أما الآن، فقد حان وقت الفراق بيني وبينك أيها القارىء الكريم، وأخالك تريد أن تتابع رحلتك مع الشيخ إلى «الديار المقدسة»، وأخالك تريد أن تعرف من الآن، كيف اتفق أن الشيخ سألني ما إذا كان الخيالة المحاربون الذين رأيتهم في منامي يحملون رايات سوداء، عليها آيات من القرآن. الحق الحق أقول لك أني لم أسأله عن ذلك، ولا أظن أنه كان سيجيبني لو سألته على أي حال، لأني، كما سبق وقلت، لم أسمع حرفاً واحداً من الكلمات التي كان يتهامس بها بينه وبين نفسه. أعتقد بأنها كانت سراً من تلك الأسرار التي يأخذها الحكماء معهم إلى القبور، وتبقى أسيرة التراب إلى الأبد. ■

الكتابة من إسبانيا:

صلاة الإنسان وسحر لغته العربية

بيروت ـ ليندا نصّار*

أن تكتب في الأندلس، معناه أن تسكنك لحظة فرح مغايرة تعْبُر بها نحو عالم تتجلى فيه اللغة كفعل إنصات وتعبير عن صوت الزمن، وسوف تخترع عالمًا تعيش فيه لحظات من الحنين إلى الماضي البعيد.

من بيروت إلى إشبيلية إلى غرناطة وما بينهما قرطبة وطليطلة، المساحات الشاسعة تتسابق مع كاميرا الهاتف، فمن يفوز على الزمن في عالم يتغير بوتيرة حارقة؟ هناك تبدّت لي روح إسبانيا بسحرها الهادئ الذي يدعو إلى تذكّر حكايات وتاريخ عرفناه من على مقاعد الدراسة في بيروت.

الكتابة من إسبانيا هي فعل تحوّل إنساني، إذ تنطلق التجربة الشعرية في فضاءات واسعة، للكشف عن عمق الإنسانية، بجمالها الروحي وسحرها المخفي. وسط هذا الكم من المشاهد التي تدعو إلى التأمل، يتحوّل الشعر إلى صلاة، بل إلى إنصات روحي خالص.

في الأندلس، تمشي في الشوارع، فتشتغل حواسك. تلمس الجدران التي تنطق بالمخفي، فتتحرك الذاكرة، ويُستعاد عالم يبعث البهجة في نفسك. الكتابة هناك ليست مجرد فعل بل طقس داخلي، ملاذ للمبدع، واستعادة حضارة مرت لتأتي حضارة أخرى فيبقى الإبداع أثرًا مشتركًا بين الاثنتين.

لا يمكن لمن يزور الأندلس إلا أن يستنطق جيناته العربية، أن يستدعي الأجداد الذين تشكّلت معهم حالات الوعي في إبداع حضارتهم فعبّروا عنها بالأدب والشعر والفن على أنواعه. في غرناطة وإشبيلية آثار تدل على جمال الحضارات، قصر الحمرا وقصر ألكازار وكاتدرائية إسبانيا وكل المعالم التي تملأ ساحاتها تشير إلى عظمة العمارة وسحر الحدائق في تلك البلاد، هناك تستدعيك تجربة من نوع آخر لحب الشعر وكتابته، حيث التطلّع نحو أفق مزدوج الزمن. الشعر يرافقك إلى الأندلس أيضًا، يمنحك صوتًا وشغفًا مختلفًا. إنها طبيعتها، التي تُعلّمك الإنصات إلى هدوئها المشاغب الذي يعبث بأفكارك، فتصبح الكلمات ضوءًا يتناسل شعرًا. في قصر الحمراء، تتعامل مع أحجار ناطقة، مع جدران شاهدة، ترى فيها الفن متجسدًا، بانوراما تتسلل إلى اللغة، لتنسج سطرًا بألف معنى.

تنظر إلى الوراء، وتخطو نحو المعنى، فتدرك أنه يتسرّب من الجمال... نحن أمام الأندلس، هي مدن الروح التي تحمل شعارات الزمن، حيث يتحوّل الأدب إلى وسيلة تفاعل بين الكائن البشري والأشياء الشاهدة على غرابة نابعة من عظمة البناء والفن وكل ما يجذبك في تلك المدن.

تفكر في نفسك وتتساءل: هل الأدب ميزان العالم؟ هل الأدب بخير لكي يكون العالم بخير؟

وفكرة أخرى تلقاك لترسم لك صورًا عن الأدب أيضًا والذي يكوّن فعل تواصل جمالي يتحوّل إلى احتجاج في عالمٍ ينحدر نحو هاوية الجمود والماديات. من ينتصر للروح في عصر سرعة السرعة حيث الآلات تغلب هشاشة الإنسان؟ من يمارس فعل الكتابة كحلمٍ يومي عصري؟ ؟

هذا التواصل الذي يحتاج إلى لغة يجعلني أفكّر بكل من يتقن اللغتين الفرنسية والإنجليزية، حيث بإمكانه الاستعانة بهما لتكتمل عملية فهم كلمات متفرقة من اللغة الإسبانية، وهذا ما يذكّرني بإحدى لقاءاتي بالشاعر بول شاوول، حين تحدّثنا عن عظمة اللغة العربية. قال لي يومها: "هل تعلمين أن صوت الكلمة العربية ينبض بمعناها؟" وأعطاني مثالًا على ذلك كلمة "حتات" والتي تعني ما تفكك من الشيء أو تحطّم أو تكسّر.

في غرناطة، الطابع الديني والتاريخي والحضاري يتطلب إصغاءً حقيقيًا. هناك، الشعر عابر للتاريخ، تراه في كل زاوية من زوايا إسبانيا، وأوخيخاروس البلدة التي تقع على طريق سييرا نيفادا تبعد عن غرناطة بضعة كيلومترات، هي بلدة الموسيقى ولكنها تهتم للشعر أيضًا. راحت القصيدة في أوخيخاروس تختال في ساحاتها حيث تمثال المغترب الإسباني. هناك أخبرتني أليسيا شون عن هذا المغترب الذي هاجر بحثًا عن مستقبل أفضل خارج بلاده... فكرت في بلادنا العربية خصوصًا بيروت التي فقدت أدمغتها بفعل الهجرة إثر الأزمة الاقتصادية والحرب الأخيرة، فكرت في الامتزاج والتفاعل الثقافي الذي يميز بلادنا، فكرت بمستقبل شبابنا نحن العرب جميعًا: بأطفال سوريا الذين ما زالوا حتى اليوم يلملمون جراحاتهم، بأطفال غزة الذين لا يعرفون معنى كلمة "لعبة"... إلى أين أنت ذاهب أيها العالم؟

ومن الأندلس، تنبع إيقاعات الفلامنكو الحزينة، تدعو روحك إلى التصفيق حيث تكمن المفارقة: تصفيق وسط حزن الجنازات وفرح الأعراس تصاعد في درجة المشاعر التي تعانق الألم والبهجة في آن.

وبالعودة إلى الفن، ترى الإنسان يعبر عن مشاعره بوساطته، فماذا عن الآلات التي تقلد أصواتًا إنسانية تمنحه عطلة للراحة بل تأخذ عنه دورًا لتنطق بالوجدان. كنت هناك أمام عزف الفلامينكو حيث تنبض الموسيقى بالألم بالذات الإنسانية بتركيبتها البسيطة والمعقدة في آن... كنت أمام غرابة الثنائيات.

بالفلامينكو، مع كل نغمة رقصة تنتصر للحياة، إنه عزف قصائد للوركا، قصائد لا يفك غموضها إلا من مسته الإيقاعات حيث انكسار الروح وسموها بين أسرار الحياة. مع الفلامينكو يتقاطع الحزن والفرح وتنبض الروح الصارخة... إنه عزف لغة الحواس التي تشتغل متشابكة مع كل خطوة وضربة كعب يهتز لها الجسد فيبقى صداه في عمق الزمن. هناك تدفقت المشاعر تعانقت على صدى الإيقاعات الجميلة التي تحاكي العقل وتحرك العصب فتقشعر له الأجساد. الفلامينكو تقليد وحكاية تتناقلها الأجيال بل هو رواية انفتاح الشعر على الأجناس الأدبية الأخرى.

إنها الأندلس، رمز الحضارة، والحكاية المستدامة التي ستبقى نابضة بالشعر واللغة.

*كاتبة، شاعرة وناقدة

شعر المتنبي على لائحة طعام ارجنتينية

محمد علي فرحات

كيف كتب بورخيس ترجمة بيت شعر المتنبي على لائحة طعام في فندق لبناني في بوينس أيرس؟

خورخي لويس بورخيس (1899ـ 1986) الكاتب الأرجنتيني المؤثر في الثقافة الإسبانية وفي الثقافات الأوروبية الأخرى، عرفه العرب عبر ترجمات لمعظم أعماله الأدبية والفكرية: التأملات والقراءات والقصائد والتعليقات على كتب وأفلام وشخصيات ووقائع.

وهو من قلة حضروا في لغتنا فأحس القارىء أنه واحد منهم أو من أسلافهم الأقربين، ومبعث ذلك وجود الثقافة العربية في صلب كتاباته: كيف يكون معبرا عن الثقافة الإسبانية ولا تتداخل في أعماله أنفاس الأندلس وذاكرتها المشرقية وآلام الموريسكيين المقتلعين من وطنهم؟

ذات يوم من أربعينات القرن العشرين كان بورخيس يصطحب أصدقاء الى مطعم «لوكندة الوردة البيضاء» لصاحبها خليل إبراهيم في بوينس آيريس. أكلوا من المائدة اللبنانية التي تختصر موائد المشرق العربي، وعلى لائحة الطعام كتب بورخيس بخط يده ترجمة إسبانية لبيت شعر المتنبي: "الخيل والليل والبيداء تعرفني/ والسيف والرمح والقرطاس والقلمْ"، ووقّع الترجمة باسمه.

هذه اللائحة/ الوثيقة حفظها بورخيس أو أحد أصدقائه لتظهر في كتاب فرنسي عن بورخيس صدر عام 1957 في سلسلة Cahier de l'herne ومن دلالات اللائحة أن العرب لم يكونوا بعيدين من بورخيس في ذلك الماضي الزاهر لحضارة الأندلس المتفتحة للتفاعل الثقافي العربي/ الأوروبي. كانوا حاضرين في مدن الأرجنتين جالية لبنانية/ سورية لم تخل من أعلام مثقفين، إذ ضمت الجالية أيضا خريجين من الجامعة الأميركية في بيروت وكتابا وصحافيين أصدروا هناك وفي سائر أنحاء أميركا الجنوبية والوسطى صحفا ومجلات وطبعوا بالعربية كتبا في الشعر والنثر، وفي هذا دليل الى مساحة واسعة من القراء العرب المغتربين في تلك المرحلة، كما أن بعضهم انخرط في وطنه الثاني وتقلد مناصب في الجيش والإدارة وبرز في الأعمال الحرة. ومن الطبيعي أن يتفاعل هؤلاء مع الثقافة الإسبانية، فلنا أن نفترض وجود موظف في فندق «الوردة البيضاء» قرأ كتبا لبورخيس فرحب به في المطعم ترحيبا خاصا. وليس اسم الفندق معزولا عن ماضي مالكيه، فإن خليل إبراهيم (لعله من منطقة وادي التيم في لبنان) سمى الفندق باسم الفيلم الأول لمحمد عبدالوهاب.

حين يكتب خورخي لويس بورخيس فكأنما يعرض كتابات شخص آخر مقترض لينـاقش ويتفاعل معها. إنها سمة كاتب إنساني لا تأسره ثقافة محدودة أو أيديولوجيا صارمة. وهو، كما عودنا، لا ينقصه الإحساس بالمفارقة، ومن ذلك أن يكتب بيت شعر في الفخر لكبير شعراء العربية على ورقة مجاورا الـ«برغل مفلفل» والـ«كوسا بلحم» ولـ«هندبة بزيت» وسائر المآكل اللبنانية في اللائحة.

ومن التعددية الأرجنتينية الى هموم لبنانية مقيمة، فقد شكوت لصديقي المصري الانقسامات الطائفية في لبنان وتعريضها إياه لخطر دائم إذ تلعب بلا كلل على حافة الهاوية.

قال صديقي إنه يعجز عن فهم إعجابي بالاستقرار في بلده، استقرار يسميه ركودا لأنه فاقد الحيوية الداخلية. واسترسل متحدثا عن «فضائل» ديموقراطية الطوائف وحيويتها الفائضة على اللبنانيين جميعا، وأنها أيضا مبعث إعجاب المواطنين العرب في أقطارهم كافة.

لم يقنعني ولم أقنعه، هذا المعجب بما أشكو منه فيما يعجبني موضوع شكواه، لذلك حولنا الحديث وجهة أخرى.

حين افترقنا تذكرت رواية «الطوف الحجري» للبرتغالي جوزي ساراماغو، وتخيلت فكرة الرواية وقد طبقت في لبنان: ما تبقى من كلاب في قرى لبنان تنبح من دون توقف فلا ينفع سوى الرصاص الذي لا يسكتها كلها، وقادة طائفيون يرمي كل من منطقته حجرا في مياه المتوسط، ومثقف هامشي تتبعه الطيور أنى يتوجه، وأرامل قتلى الحروب يرسمن بأغصان الشجر خطوطا على التراب.

بعد النذير، تسمع أصوات عالية لارتجاجات أرضية وشروخ، وتنفصل الأرض اللبنانية عن محيطها، تصير إسرائيل جارة بحرية لسورية، لكن الأرض التي تبحر بلا وجهة ما تلبث أن تنشرخ وتنقسم طائفيا. يحاول كل جزء الاتحاد بدولة في المتوسط لكن الدول كلها ترفض إضافة أرض جديدة بائسة.

تهيم الطوائف وأراضيها في بحر الحضارات، تهرب منها السفن ويدب الذعر في السمك وسائر الكائنات البحرية.

يصرخ الطائفيون فوق جزرهم المتحركة طالبين النجدة، ليقوم المجتمع الدولي بلملمة الأراضي التائهة بسكانها، ويرتقها ويعيدها الى مكانها الأصلي، هكذا لتواصل سيرتها الأولى وإلى الأبد.

واذكر في الجزائر دلالات عزلتها الخانقة إذ وجه منتمون الى بقايا حركة النهضة الإسلامية أسئلة شفوية وكتابية تتهم الحكومة بتبذير المال العام بـ«ضخها أموالا طائلة في مهرجانات هلامية تنتهي بفضائح أخلاقية». وكان هؤلاء ركزوا هجومهم في مرحلة سابقة على وزيرة الثقافة، وحين ردت عليهم بحدة هددوا بمقاضاتها وقالوا انها اتهمتهم بأنهم نازيون جدد.

وإذا كان كلامهم دقيقا فإن الوزيرة تكون استخدمت نعوتا يصح قولها في أوروبا لا في الجزائر التي لم تشهد نازية قديمة كي تجددها. لكن المشكلة ليست في القول انما في الباعث عليه، فهؤلاء النواب ينظرون بخفة الى الثقافة الأفريقية والى انفتاح الجزائر على القارة السمراء، ولا يدركون أن بلدهم كان منارة هذه القارة وملجأ مثقفيها ودعاة استقلال دولها.

يعيش هؤلاء وأمثالهم في عزلة عن العالمين القريب والبعيد مكتفين بما عندهم، مازجين الجهل بالتجاهل في ما يخص علاقتهم بالثقافات الأخرى، حتى تلك الداخلة في تكوينهم وعوا ذلك أم لم يعوه.

هذه العقلية تشكل دافعا من دوافع هجرة النخب الجزائرية الى أوروبا وأميركا. وتبدو منطقية هذه الهجرة التي يشكو منها الوطنيون، ومنهم رئيس منظمة المبدعين والبحث العلمي في الجزائر الذي صرح في اليوم التالي لهجمة النواب على مهرجان ثقافي، بـ«ان وجود مئة ألف عالم وباحث جزائري في الخارج يعكس غياب العلاقة بين هذه الشريحة المميزة والسياسيين الجزائريين».

هكذا تطرد الجزائر فقراءها عبر قوارب الموت وعلماءها ومبدعيها عبر اهتزاز الأمن وتسلم عقليات متخلفة أو استئصالية مقاليد السلطة والمعارضة.

بلد المليون شهيد ذو الحيوية المشهودة يتحول الى بلد خامد يخيم عليه سلام الذئب والنعجة.

محمد عبدالوهاب.. توقف بعده فن التجديد في الموسيقى العربيه

لماذا تعذر وجود امتدادها الفني ؟

عبد الوهاب... عبقرية العصر الموسيقيه ببريقها المتوهج

لندن: أمين الغفاري*

حاز محمد عبدالوهاب على العديد من الألقاب، فهو مطرب الملوك والامراء، وهو موسيقار الأجيال كما انه الدكتور، وايضا هو اللواء، بالأضافة الى حصوله على الكثير من الأوسمه والنياشين والقلادات، وكان في كل الحالات هو المطرب الأول، (قبل ان يعتزل الغناء في الحفلات ،وتلك وحدها قصة) ثم هوالموسيقار الخالد. كان صوته هو سفيره الأول،ثم كانت موهبته في الموسيقى والتلحين، هي شهادة استمراره في المقعد الأول، سواء في عالم الألحان وفنون الموسيقى أوفي الغناء، ومن خلال جماهير امبراطوريته الفنية الواسعة الانتشار على امتداد الأرض العربيه، خصوصا بعد ظهوره على شاشة السينما، وتألقه في سلسله من الأفلام الغنائيه، وساهمت الصوره المرئيه، وتجسيدها، مع جمال الصوت وسحره، في تأكيد زعامته لفن الطرب. لكن عبدالوهاب لم يتوقف عند جاذبية أوتار صوته وايقاعاتها الخلابه، وأثر ان يمتد فنه المتجدد ويعبر تلك الجاذبيه، التي تربطه بجمهوره الى عالم آخر، متجدد ايضا، انطلق اليه عبر ارادة قوية تشبع نهمه، وتحوله الى نبع متدفق من الألحان وفنون االنغم والرتم الموسيقى، وكان محرضه الأول على أن يرتاد هذا العالم الحافل، هو ذلك الشاعر العظيم، أمير الشعراء (احمد شوقي)، فهو استاذه وراعيه، فقد آمن بموهبته، وقدرته في ان يصنع لنا آذانا جديده،على حد قوله،وكانت نصيحته الأساسيه، والتي كان يمعن في تكرارها عليه (لاتنظر خلفك ابدا يامحمد، قدم لنا نغما جديدا، وانطلق الى الأمام لكي تصنع لنا فنا حديثا).

لم يدخر عبدالوهاب جهدا في تحقيق ذلك، وقد سئل ذات مره،ماهو اعز شيئ لديك ؟ أجاب على الفور، (فني أولا ثم أولادي).صحبه أحمد شوقي الى اوروبا، وتعرف على فنونها وموسيقاها بآلآتها المتعدده، وأنغامها المتطوره، ومدى تعبيرها وجمالياتها. لذلك كان اقتحامه لهذا العالم، الذي لم تألفه الأذن الشرقيه من قبل، وهو الموسيقى العالميه، فانكب عليها، وعلى دراستها بفنونها، ومن هنا كانت انطلاقته الى عالم جديد من الفنون المختلفة في اطار الموسيقى والغناء، مما ساعده على ادخال الكثير من الآلآت الموسيقية الغربيه الى عالم موسيقانا الشرقيه، واستخدامها بشكل يضيف، ولا ينال من النغم الشرقي، تأكدت بذلك ريادته في هذا الانفتاح على ذلك العالم الجديد، واكسب موسيقاه سحرا جديدا.

ومن هنا لابد لنا ان نتوقف عند الشخصية الأهم، وصاحبة الفضل الأكبر او الأعظم، في وجود (عبدالوهاب) الموسيقار الذي عرفناه ،وشكل لنا وجداننا الفنى، وهو امير الشعراء (أحمد شوقي) (زرياب) واسمه الحقيقي هو (ابو الحسن على بن نافع الموصلي)، وقد ولد في الموصل عام 789 في عهد (الخليفه المهدي في العصر العباسي (789) وقد مات في قرطبه عام (845) في عصر (ألأندلس).

سيد درويش ودوره

يكتب حاليا تاريخ الموسيقى العربيه وفن الغناء عموما، ابتداء من عصر. سيد درويش الذي ولد في 17 مارس عام 1892، وينسب اليه انه مؤسس فن الموسيقي العربيه، وليس فقط باعتباره المجدد لفن الموسيقى العربيه. وترتيبا على ذلك فقد اطلقت عليه تلك الألقاب، وحصل في مصر على لقب (فنان الشعب) .!!التحق سيد درويش وهو فى الخامسة من عمره بأحد الكتاتيب ليتلقى العلم ويحفظ القرآن، وبعد وفاة والده وهو فى السابعة من عمره، قامت والدته بإلحاقه بإحدى المدارس، وبدأت تتضح موهبة درويش الفنية من خلال مدرسته وحصة الموسيقى، وتفتحت موهبته، من خلال انخراطه في الحياة الشعبيه، بكل واقعيتها من حيث التقاليد المرعيه ،والحياة اليوميه لكل فئات الشعب من حيث الجانب الأجتماعي لحياة الأسره ومطالبها، وطبقاتها ،مستوياتها وتطلعاتها ،كذلك للوجود الأجنبي سواء الأحتلال منها،أو للوافدين لمصر والمقيمين على ارضها، والمشاركين في مؤسساتها الأقتصاديه، سواء كانوا مستثمرين أو عاملين. ثم في الحركة الوطنيه وزعمائها في تلك الفترة ابتداء من مصطفي كامل الى سعد زغلول ، وقد لحن (يابلح زغلول) و(قوم يامصري مصر دايما بتناديك) و(بلادي بلادي لك حبي وفؤادي) قد استطاع من خلال موسيقاه ان يترجم كل ذلك عبر فنه، سواء بتطوير فن الموسيقى والغناء من نقله، من حيث التأثير التاريخي التركي او الفارسي ،الى فن جديد تلعب فيه الموسيقى بجانب الكلمة دورا رئيسيا لا يقتصر على مصاحبة المغنى او المطرب في ترديداته اللفظيه وتكرارها التقليدي، الى الأرتباط باللحن المحدد للنظم او للكلمات.

لقد صنع طابعا مصريا شعبيا، وقام بتفصيله من خلال النغم الموسيقى وجعله لغة للشارع ومعبراعن حال المصريين، بعدما كانت الموسيقى نوعا من الترف يقدم فنا خاصا بالسرايات والنخب ذات الأصول الأجنبيه التي ترتهن بالطابع التركى ،كما أنه أضاف إليها إضافات، وعمقا بعيدا عن طابع الارتجال والتطريب الذى ساد الألحان من قبله.

لقد تناولت الحانه صورا ملازمة للحياة الشعبيه، وللطوائف العماليه. وقد لعبت موسيقاه دورا كبيرا في نجاح مسرحيات نجيب الريحاني، ومنها (ولو) وعلى الكسار،ومنها (احلاهم) ومنيرة المهدية ومنها (كلها يومين). كما تطرقت الحانه الى فن الأوبريت ومنها (شهرزاد) و(العشرة الطيبه) بالأضافة الى العديد من الأغاني التي مازالت تعيش حتى اليوم ومنها (طلعت يامحلا نورها، واغنية زوروني كل سنه مره). لم يكن سيد درويش مجرد ملحن بالمعنى التقليدى، بل باعث ومجدد ومؤسس للموسيقى العربية.

وقام بصنع طابع مصري شعبي من الموسيقى وحولها الى لغة للشارع ومعبرة عن حال المصريين، بعدما كانت الموسيقى زمنا تعد فيه فنا يعزف في القصور ولا تتجاوب معه سوى النخب ،والتفافها حول ذلك الطابع التركى، كما أنه أضاف اليها انغاما ساحرة من خلال آلات جديده ،مهد لها، بتوليفات مبتكره، وأحدث فيها عمقا مدروسا يبعد عن اسلوب الارتجال والتطريب الذى ساد الألحان من قبله، واستطاع بذلك فصل الموسيقى العربية عن القالب التركى، وأبرز الملامح المستقلة فى الموسيقى العربية، وحولها إلى مقامات وجملا إلزامية، ما جعل الملحن يأتى فى المرتبة الأولى بعدما ظل مهمشا يقتصر دوره، على شكل ثانوى بجانب المطرب.

عبدالوهاب ودوره

لا ينبغي لنا ان نطرح مفاضلة بين سيد درويش، وعبدالوهاب فكلاهما عملاق في تاريخ الموسيقى العربيه، وكلاهما مجدد وخلاق، ومساهمنه جوهرية في مدى العطاء، ويمكن القول انه لولا سيد درويش ،ماكان عبدالوهاب، ولولا عبد الوهاب لأختنقت من الموسيقى ايقاعاتها الجماليه الحديثه ،بفعل انغلاقها وانكفائها على ذاتها،دون تجديد أو تطوير، وبذلك تتخلف عن حركة وتطور الزمن المعتاده عبدالوهاب تحت رعاية احمد شوقي اتجه الى حركة التجديد، وكما يعرف عن حركة النهضة في المجتمعات المختلفة ،فانها تنهل من الثقافات المختلفة، ولذلك فان نهضة المجتمع تعنى في بداياتها بحركة (الترجمه) التي تتطلع الى المعرفه والثقافة، والتنوير من خلال الدراسات والأبحاث حول القضايا المختلفة، والأنفتاح على الثقافات واختيار ما يتلاءم، مع ثقافة المجتمع، وما يستهدفه من غايات وهو أمر شديد الحيويه لمعنى التقدم. عبدالوهاب هو الثقافة الفنيه، والدراسة العلميه في صنع المستقبل.

لقد التحق عبدالوهاب بمعهد الموسيقى الشرقيه (العربيه الآن) وتفوق على الدارسين ،واتجه نحو التجديد في فن الغناء ،من خلال عدم المط والتطويل مما اثار المشرفين على المعهد ضده حيث انهم يتمسكون بالتراث القديم، ولذلك تم فصله من المعهد. التحق بمعهد ايطالي للموسيقى في القاهره وهناك ادرك فن التأصيل للعمل وأهمية البروفات الى حد ان يكون مستواك في الأداء بعد البروفات 200% تحرصا من عوامل متعددة بينها التوتر ان ينخفض مستواك فتكون في مأمن ، حيث تحتضنك نسبة 100% وبذلك تضمن نجاحك. تعرف عبدالوهاب على انتاج اساطين فن الموسيقى في الغرب والشرق، ونهل من ينابيعها، وقال في تصريح له (أنني على موعد يومي لابد ان التزم به مع انسان مهم في حياتي الفنية ،وحين سألوه عنه قال (انه محمد عبدالوهاب) أي انه لابد ان يختلي بنفسه، لكي يتأمل ماذا يمكنه ان يقدم من نغمة جديده. وكانت تلك الرغبه الملحة في تقديم الجديد ،هي سر بقائه على القمة في فنه. قد يندهش القارئ حين يعلم ان عبدالوهاب لم يكن راضيا عما يسمي (عبدالوهاب القديم). وقال في حوار مع المذيعه الراحله (ليلى رستم) في احد برامجها في بيروت وقد اندهشت لهذا الرأي ،وابلغته بوقائع من خلال ممارساتها بأعجاب الكثيرين بأعماله القديمه ورد قائلا (والله دا شيئ يسعدني). كما انه أدلي في نفس الحلقه التي اجرتها معه باعترافات حول نقله لبعض الألحان الأجنبيه الى موسيقاه، ومنها افتتاحية اغنية (أحب عيشة الحريه) وانها مأخوذه من قطعه للفنان العالمي (فيردي) واغنية أخرى بها مازوره اجنبيه وهي اغنية (ياورد مين يشتريك). تحدث عن (قانون حماية الملكيه الفكريه للمؤلفين والملحنين) وقد كان رئيسها في فترة من الفترات.

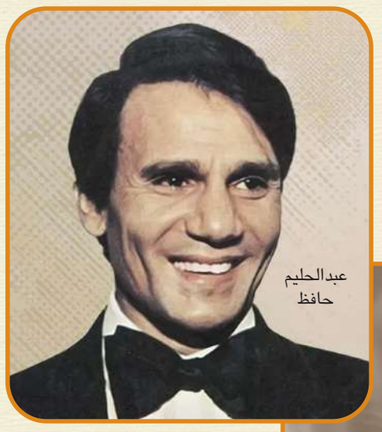
عبدالحليم حافظ

سيد درويش

الحان عبدالوهاب الخالده

قال عبدالوهاب في احاديثه مع (سعدالدين وهبه) في حلقات (النهر الخالد) انه يؤمن ان الاعمال التي تعيش هي الأعمال التي لها وزن فكري، وثقافي سواء بالنسبة للكلمة أو للحن. وهو مقياس له تقديره واحترامه ،ونتذكر من اعمال عبدالوهاب (الكرنك، والجندول، وهمسة حائره ومجنون ليلي والنهر الخالد، وأنشودة فلسطين وكليوباترا) وغير ذلك ما يصعب حصره في تاريخ طويل يمتد الى أكثر من سبعين عاما ،وهو يتربع على عرش الطرب سواء من خلال صوته المتفرد أو الحانه ذات الاعجاز ومنها للعديد من المطربين والمطربات وفي مقدمتهم سيدة الغناء العربي (أم كلثوم).

والسؤال... لماذا لم تمتد مدرسة عبدالوهاب ؟

كان لسيد درويش مدرسة وأول من تأثروا به كان عبدالوهاب ذاته، وفي الحانه الأولى لمسات من سيد درويش ومن يتابع عبدالوهاب يتذكر الحان مثل (فيك عشرة كوتشينه في البلكونه) وهي تتجاوب مع الرتم الشعبي لسيد درويش والحانه مع فوزى الجزايرلي، كما تأثر بفن سيد درويش ملحنون كبارا مثل الشيخ زكريا احمد ورياض السنباطي ومحمد القصبجي ومن بعدهم احمد صدقي وسيد مكاوي. الا ان عبدالوهاب بعد ان تعرف واقترب من (أحمد شوقي) تفتحت عيناه واذناه على رتم جديد من الموسيقي استهواه ،وعكف على دراسته، وهو يروي أنه بعد ان استمع الى موسيقى الرقصة الشهيره (الرومبا) وكان قد انتهي من تصوير فيلم (الورده البيضاء) الا انه أخذ أغنية بشارة الخوري (جفنه علم الغزل) واستعان بنغمة تلك الرقصه ،ووضعها في اللحن وأقحمها في الفيلم. فالمتعه الفنيه هي شاغله حتى وان كلفته تضحية مالية في المزيد من الأنفاق. ■

*كاتب وصحافي مصري

النص كاملاً منشوراً على موقع «الحصاد»

زياد الرحباني

الفنان الجريء وعمود الإبداع... في ذمة الله

بيروت: محمد المشنوق

توفي زياد الرحباني، ذلك المبدع الذي شكل رابطاً حيوياً بين الأجيال الرحبانية السابقة والأجيال القادمة في عالم الفن اللبناني. فقدت الأم الحزينة، فيروز، صديقًا ورفيقًا، حيث لا يزال أثر الثلاثي الرحباني، عاصي ومنصور وإلياس، واضحًا، ولكن مع رحيله، فقدت فيروز أحد أبرز الداعمين لها في رحلتها الفنية.

وُلد عام 1956 في عائلة تحمل إرثاً فنياً عريقاً. اختار لنفسه مساراً فنياً مستقلاً منذ صغره، بدءاً من سن السابعة عشرة، ليصبح صوتاً للشارع وهموم الناس في لبنان. فقد كان في صميم أعماله يعكس نبض المجتمع اللبناني ويعبّر عن مشاكله وقلقه.

تميزت أعمال زياد بالفكاهة والنقد الاجتماعي، حيث دمج بين الموسيقى الشرقية وعبق الجاز، ليخلق أسلوباً فريداً من نوعه. من أبرز أغانيه التي لحنها لوالدته، «سألوني الناس» و«كيفك إنت» و«صباح ومسا»، استطاع الحفاظ على جوهر التراث الرحباني مع لمسة عصرية.

لم يكن زياد مجرد ملحن وكاتب مسرحي، بل كان ناشطًا سياسيًا واجتماعيًا جريئًا، يعبر عن آرائه بصراحة. استخدم مفرداته كوسيلة لتسليط الضوء على القضايا المستعصية، كمشاكل الحرب الأهلية، الطبقية، والطائفية في لبنان. وقد كانت مسرحياته، مثل «فيلم أميركي طويل»، تجسد تلك المعاناة، وتقدم تشريحاً دقيقاً للمجتمع اللبناني في أوقاته العصيبة.

زياد مع والدته السيدة فيروز

بالإضافة إلى ذلك، ورغم شبابه النسبي خلال تلك الفترة الدرامية، كانت انتقاداته للحياة الاجتماعية والسياسية تتسم بالجرأة، إذ لم يستثنِ حتى النموذج التقليدي الذي قدّمه والداه، مما جعله باباً جديداً يتفتح أمام الجيل الثاني والثالث من المبدعين، ليواصل حلم الإبداع في عالم مليء بالتحديات.

على مرّ السنين، أسهم زياد في تجديد الأغنية اللبنانية، حيث قدم أعمالاً مبتكرة تجمع بين الفنون المختلفة. وقد تم تكريمه في مهرجانات عديدة، منها مهرجانات بيت الدين الدولية في عام 2018، حيث استطاع إسعاد الجمهور بعرض موسيقي مميز يتخلله غناء وتمثيل، مما يبرز تفانيه وإبداعه.

بوفاته، يترك زياد الرحباني فراغًا كبيرًا في الساحة الفنية وفي قلوب محبيه. لقد كان عمود اتصال بين الأجيال الرحبانية، يجمع الماضي بالحاضر ويضع بصمته على مستقبل الإبداع في لبنان. لن تُنسى مسيرته الغنية ومواقفه الجريئة، وستظل أعماله تتردد في الأذهان، مثالاً على قوة الفن وقدرته على تغيير المجتمع.

سيدتي فيروز

أضم حزني إلى حزنك. ■

جينا نجيب الريحاني

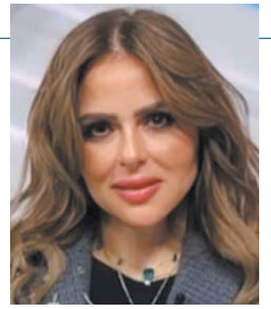

الفنانة الدنماركية ليزا لاك نيلسون

فرانشيسكا البانيسي

الدولية للطاقة الذرية: ألمانيا قادرة على صنع سلاح نووي خلال شهور

■ أعلنت الوكالة الدولية للطاقة الذرية أن ألمانيا قادرة على صنع أسلحة نووية في غضون أشهر، بحسب ما نقلته وكالة (روسيا اليوم). وقال مدير عام الوكالة الدولية للطاقة الذرية رافائيل جروسي، في مقابلة أجرتها معه صحيفة (Rzeczpospolita) البولندية، إن ألمانيا تمتلك القدرة التقنية والمواد الخام اللازمة لتطوير سلاح نووي في غضون بضعة أشهر فقط.

وأوضح جروسي: «من حيث القدرات النووية المدنية، تمتلك ألمانيا بنية تحتية نووية متقدمة تشمل مفاعلات بحثية ومراكز تخصيب اليورانيوم،مثل منشأة «جونشينغن» التي تستطيع نظريا إنتاج مواد قابلة للاستخدام عسكريًا».

وأشار مدير عام الوكالة الدولية للطاقة الذرية إلى الخبرة التاريخية، فخلال الحرب العالمية الثانية، حاولت ألمانيا النازية تطوير سلاح نووي عبر مشروع (يورانيوم) بقيادة فيرنر هايزنبرج، لكنها فشلت بسبب نقص الموارد والوقت، أما اليوم، فلدى ألمانيا خبراء في الهندسة النووية وقدرات تصنيعية متطورة.

لا زال للوفاء جمهور

■ تحرص (جينا الريحاني) على احياء ذكرى والدها الفنان الكبير الراحل (نجيب الريحاني) حيث قامت مؤخرا بزيارة قبره ،ووضعت باقة من الزهور بيدها وفاء لذكراه ،التي مازالت حاضرة في وجدانها.

يذكر ان فنان الكوميديا الأشهر نجيب الريحاني ينحدر من اصول عراقيه،ولكنه ولد في القاهره في حي باب الشعريه ،بدأ مشواره الفنى مبكرا ،واستطاع ان يصل الى مكانة مرموقه في عالم التمثيل وفن الكوميديا خصوصا . كانت فرقته من انجح الفرق المسرحيه، وتعاون مع الملحن الشهير سيد درويش كما ان عبدالوهاب قام بالغناء على مسرحه، وطاف معه في عروضه في لبنان . قدّم خلال مسيرته مجموعة من أشهر المسرحيات، من بينها:(حسن ومرقص وكوهين و (الا خمسه) و(كشكش بك) كما قدم للسينما مجموعة من الأفلام التي مازالت تعرض حتى الآن منها (لعبة الست) و(سلامه في خير) و (ابو حلموس) وكان آخرها فيلم (غزل البنات) تميّز نجيب الريحاني بأسلوب فريد يمزج بين الكوميديا والموقف الإنساني، ما أضفى على أعماله طابعًا خاصًا من العمق والبساطة في آنٍ واحد.

دعوة الفنانة التشكيلية ليزا لاك نيلسون لزيارة مصر وعرض لوحاتها

■ قام اللواء عمرو حنفي محافظ البحر الأحمر بتوجيه دعوة للفنانة التشكيلية الدنماركية ليزا لاك نيلسون صاحبة لوحة فنية اتهمت الإعلامية مها الصغير بانتساب اللوحة اليها في برنامج قدمته الأعلاميه المعروفة (منى الشاذلي) في برنامجها التلفزيوني (معكم).

يذكر ان محافظة البحر الأحمرتقوم بتنظيم معرض عالمي كل عام للفنانين والمبدعين، كان ظهور الأعلاميه مها الصغير واعلانها ان الاعمال الفنيه التي طرحتها في البرنامج من تصميمها قد أثار ضجة كبيرة ،بعد ان ظهرت المصممه الحقيقيه الفنانه الدنماركيه ليزا نيلسون، واستضافها الاعلامي (عمروأديب) في برنامجه (الحكاية) وفي أعقاب ذلك، اعتذرت مها الصغير، إلى الفنّانة الدنماركية ليزا نيلسن، عبر صفحتها الرسمية في فيسبوك، وقالت: (أنا غلطت.. غلطت فى حق الفنانة الدانمركية ليزا. وفي حق كل الفنانين، وفى حق المنبر اللي اتكلمت منه، والأهم غلطت فى حق نفسي. مروري بأصعب ظروف في حياتي لا يبرر لي ما حدث.. أنا آسفة وزعلانة من نفسي).

ترامب يوجه رسائل لعدد من الدول حول الرسوم تضمُ دولةً عربية

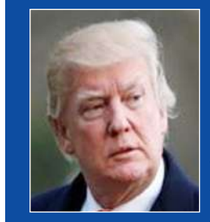

■ قام الرئيس الأمريكي دونالد ترامب بتوجيه رسائل متعلقة بالرسوم الجمركية لعدد من الدول هي الجزائر وبروناي والعراق وليبيا ومولدوفا والفلبين. وتضمنت تلك الرسائل فرض رسوم جمركية بنسبة 30 بالمئة على الجزائر و25 بالمئة على بروناي و30 بالمئة على العراق و30 بالمئة على ليبيا و25 بالمئة على مولدوفا و25 بالمئة على الفلبين يأتي هذا الإعلان بعد تأكيد ترامب،للجزائر بأنه يتطلع الى تعزيز العلاقات معها، وذلك في رسالة تهنئة بعث بها إلى نظيره الجزائري عبد المجيد تبون، بمناسبة الذكرى الثالثة والستين لعيد الاستقلال الوطني.. وكان ترامب قد نشرأيضا رسائل تتضمن الرسوم الجمركية المفروضة على 14 دولة، هي تونس، وكوريا الجنوبية، وماليزيا، وكازاخستان، واليابان، وجنوب إفريقيا، والبوسنة والهرسك، وإندونيسيا، وصربيا، وبنغلاديش، وتايلاند، وكمبوديا، وميانمار، ولاوس.

واشنطن تعلن فرض عقوبات على المقررة الأممية لحقوق الإنسان في فلسطين

■ اعلن وزير الخارجيه الأمريكي (ماركو روبيرو) فرض عقوبات على (فرانشيسكا ألبانيسي المقررة الأمميه لحقوق الأنسان في الأراضي الفلسطينيو، بسبب ما وصفه بأن (مساعيها غير المشروعه لدفع المحكمة الجنائية الدولية لاتخاذ إجراءات ضد مسؤولين وشركات ومديرين تنفيذيين أميركيين وإسرائيليين) وقال روبيو في منشور على (إكس): (لن نسمح بعد الآن بحملة ألبانيسي التي تشنها بوصفها سلاحاً سياسياً واقتصادياً ضد الولايات المتحدة وإسرائيل)، مضيفاً أن الولايات المتحدة ستواصل اتخاذ ما تراه من إجراءات ضرورية لمواجهة (الحرب القانونية) وحماية سيادتها وسيادة حلفائها.

واحة الحصاد

شكل هالخزنة مش غريبة عليّ ..!

بريشة: حسين حمّود

أقوال

■ طريق الجاهل مستقيم في نظره.

سليمان الحكيم

■ على النابل ان يتأنى، فالسهم متى انطلق لا يعود.

الشيرازي

■ قال الرئيس الهولندي «سانشوباتر» لما تخلى عن الحكم: «انني أفضل ان استلقي ضيفا على الارض في ظل شجرة سنديان وان أتدثر بمعطف راعٍ له طبقتان من الجلد، ومعي حريتي، من أن أرقد بين الملاءات الهولندية الفاخرة.. وحولي الحراس».

■ من يفكر بالانتقام يحتفظ بجروحه خضراء.

بيكون

■ العربة الفارغة اكثر جلبة من الممتلئة.

برنارد شو

■ ضع على وجهك ابتسامة، فان قياساً واحداً يلائم الجميع.

جنسون

■ قد يتمكن المرء من ان يرد ما استدانه من دراهم، لكنه قد يعجز عن وفاء «دين المحبة».

فيليب بانث

■ اني اعجب بالشباب الذي يزدان بحكمة الشيوخ، وبالشيخ الذي يزدان بنشاط الشباب، ومن عاش بمقتضى هذا المبدأ، فقد يشيخ بالجسم، واما عقله فلا يشيخ.

شيشرون

اختبر معلوماتك

اختر الجواب الصحيح:

١ـ لا تقل قد ذهبت اربابه
كل من سار على الدرب وصل
من هو الشاعر صاحب هذه البيت؟
احمد شوقي ـ ابن الوردي ـ ام ابو تمام؟

٢ـ الهرم الاكبر احد عجائب الدنيا السبع القديمة. من بناه؟
خفرع ـ خوفو ـ ام منقرع؟

٣ـ «كل ما اعرفه هو انني لا اعرف شيئاً»
هذا القول هو: لارسطو ـ لافلاطون، ام لسقراط؟

٤ـ «النبي» كتاب شهير للاديب الراحل جبران خليل جبران...السؤال: بأية لغة وضعه؟ بالعربية ام بالانكليزية؟

٥ـ ما اسم العاصمة الاوروبية التي تعرف بـ«المدينة الخالدة»؟
باريس ـ روما ـ ام لندن؟

٦ـ اسنان الاطفال المسماة بـ«اسنان الحليب» كم عددها: ١٦ـ ١٨ـ ام ٢٠ سناً؟

كلمة السر

كلمة السر: ٧ أحرف:
صاحب هذه الكلمات

ـ جميع هذه الكلمات مدونة داخل المربعات.
ـ لا يشطب الحرف الا مرة واحدة فقط.
ـ الحروف غير المشطوبة تؤلف كلمة السر.

يتعاون سكان القرى في لبنان على قطف العنب ويردد بعض اللبنانيين «حزورة» عن الدالية واولادها يقولون فيها:
«بنت اربع سنين جابت اربع بنين. تنين مجانين وتنين عاقلين.
يراد بها: ان الدالية لا تثمر الا بعد مرور اربع سنين على زراعتها. والاثنان المجنونان من اولادها هما العرق والنبيذ، والاثنان العاقلان هما الدبس والزبيب.

ا	ا	و	ع	ن	ا	ل	د	ا	ل	ي	ة	و	ل	ا	و	
ا	ل	ل	ا	ع	ل	ى	ق	ط	ف	ل	ت	ا	ل	ا	ع	
و	ن	ل	م	و	ا	ل	ق	ر	ى	ن	ت	ا	ل	ا	ح	
ف	ا	ا	ب	ج	ل	ب	ع	ض	ي	ث	ب	ن	ق	ز	ي	
م	ي	ل	ل	ن	ن	ا	ح	ن	م	ع	ب	ل	و	ت	ق	
و	ج	ل	ا	د	ا	و	د	ر	د	ي	ي	ر	ي	ن	و	
ا	ي	ا	ب	ث	ا	ن	ن	ه	ذ	ن	ة	ا	ت	ي	ل	
و	ر	ر	ن	ن	ن	ل	ي	ا	ا	ج	ا	ل	ع	ن	و	
ا	د	ب	د	ي	ا	ا	ي	ي	ن	ا	ر	ع	ا	خ	ن	
ل	س	ب	ع	د	ن	ن	ن	ة	ن	ب	ب	ن	و	م	ف	
ا	ك	ن	ي	ر	ا	د	ب	ه	ا	ت	ع	ب	ن	ر	ي	
ث	ا	ي	ا	ع	ل	ى	ز	ر	ا	ع	ت	ه	ا	و	ه	
ن	ن	ن	ب	ن	ت	ا	ر	ب	ع	س	ن	ي	ن	ر	ا	
ا	و	ا	ل	ر	ب	ي	ب	ه	م	ا	ا	ل	د	ب	س	
ن	ط	م	ن	ا	و	ل	ا	د	ه	ا	س	ن	ي	ن	ر	
ه	م	ا	ا	ل	ع	ر	ق	ا	ل	ع	ا	ق	ل	ا	ن	

نوادر

● عبد الوهاب والاخطل الصغير ●

■ ذات يوم سأل الصحافي المعروف كامل الشناوي عبد الوهاب:
ـ انت يا استاذ لمن لحّنت من الشعراء؟
ـ لحنت لاحمد شوقي ومهيار الديلمي وعزيز اباظة واحمد رامي وبيرم التونسي وعلي محمود طه وحسين السيد وابراهيم ناجي وايليا ابو ماضي وغيرهم وغيرهم...
ـ ولكن هناك شاعر نسيته على ما يبدو؟
ـ من هو؟
الاخطل الصغير!
ـ اني لم ألحنّ للاخطل!
ـ كيف؟!
ـ ان قصائده كانت تأتيني ملحّنة خالصة.. فقصيدة «جفنه علّم الغزل» مثلاً لم افعل بها شيئاً، كل ما فعلته اني وضعتها في اطار موسيقي فقط ويمكنني القول ان الاخطل الصغير هو الذي نظم وهو الذي لحّن..!

● ذكرى قيمة ●

■ حُكم على احد اللصوص بالسجن. وعندما اخذ السجان في تفتيش ملابسه، لوضع ما معه من النقود في قسم «الامانات» وجد معه بين النقود دولاراً مهترئاً. وطلب السجين الاحتفاظ بهذا الدولار. ولما سأله السجان عن السبب قال: «اصل هذا الدولار له قيمة تذكارية عندي.. فهو اول دولار نشلته!».

● كي تهون المصاعب ●

■ سأل الرجل صديقه: «لماذا انت واخوتك الاربعة تزوجتم اربع بنات شقيقات؟»
اجاب الصديق: «لكي يكون لكل واحد منا «ربع حماة»!

● اكبر شخص ابحر حول العالم بمفرده ●

■ كان «مينورو سايتو» ياباني في ٧١ من عمره عندما اتم ابحاره الفردي حول العالم على متن يخته الذي يبلغ طوله ١٥ مترا في حزيران سنة ٢٠٠٥ ما جعله الشخص الاكبر سناً الذي يبحر حول العالم. وقد دامت رحلته ٢٣٣ يوما وبدأت وانتهت قرب ميناء «ميساكي» في اليابان وقد اجتاز ٥٠ ألف كلم

عن موسوعة «غينيس» للأرقام القياسية

Bliss
PHARMACY AND CLINIC

Prescribing Pharmacist	كتابة وصفات طبية
Private Prescription	وصفات طبية خاصة
Clinical Nutritionist	أخصائي تغذية
IV Nutrition Drip	التغذية الوريدية
Flu and Travel Vaccination	لقاح ضد الانفلونزا ولقاحات للسفر
Laser Hair Removal	ازالة الشعر بالليزر
Beauty Therapy	التجميل والمساج

HEALTH • BEAUTY • LIFE

We stock a large range of Premium vitamins, supplements and natural products as well as many high-end skincare brands
تتوفر لدينا مجموعة كبيرة من الفيتامينات والمكملات الغذايية والمنتجات الطبيعية. كما لدينا العديد من المنتجات الراقية للعناية بالبشرة

Open 9am to 10pm (Monday to Saturday)
Open 12pm to 9pm to Sundays
107-109 Gloucester Road, London, SW7 4SS
0207 373 4445
www.blisslife.co.uk
gloucesterroad@blisslife.co.uk

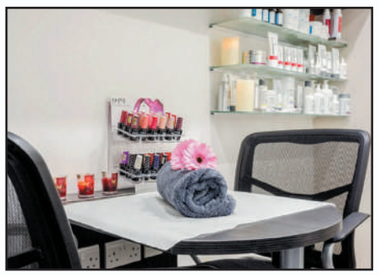

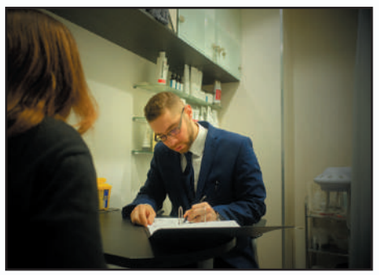

الصفحة الأخيرة

كفاح مجيد

إلى نبات العاكول العراقي

ربما يعتقد الكثيرون من اصدقائنا... إنني مجرد فنانة تشكيلية !.
القليلون يعرفون ..إنني ايضا (مزارعة) عراقية ...
امتلك مزرعة صغيرة ..قد حولتها لبستان نخيل...
في مزرعتي .. يبتديء يومي: أقاوم أرضا متيبسة...
وماءً متملحة...
واشارك محنة جذور نخيلي الصغيرة ، التي تحلم ان ترتفع قاماتها نحو السماء ...
اليوم ..أود أن اشارككم بعضاً من (يوميات مزرعتي)...
وسيكون الإهداء الذي افتتح به يومياتي...
إلى نبات العاكول...
الذي ينبت بإصرار وصمت عجيب... مهما اقتلعناه....يعود...

الإهداء
(إلى عناد الجذور...
إلى شوكة الوعي ...
إلى نبات العاكول العراقي)

(أي عناد يكمن في جذورك؟!
اقتلعك ... لتهمس في اذني... (لن أرحل؟!)
تلوذ جذورك بقلب الأرض...
تحتمي بظلامها ...
أي عناد تملك؟!
عناد من تشبع بالقهر..ولم ينحَنِ...
ذاق الجفاف... ولم يجف....
لمس الموت ..فأزدهر...
فيك حكمة الصحراء ..
وأصالة روح العراق..
تلك الروح التي لطالما أطاحتها العواصف
لتعاود الخضرة ...
روح العراق... تعود دوما للحياة بأكبر جرعة من الاستفزاز والإصرار...
علمني العاكول.. ان الجمال قد يكون شوكة...
تلك الشوكة... أحن على الأرض
من العابرة... الوردة...
ابق (ياعاكولنا). كما أنت...
شجاعا...متشبثا بأرضك...
مؤلما ...
بقدر ما أنت جميلا...
علمني العاكول ..
ان احب ارضي رغم أذاها...
علمني... كيف اصبر حتى وأن نزفت يدي...
واحترق وجهي بلهيب الشمس...
علمني... كيف أظل واقفة...
حين يختار الآخرون الهروب...

كفاح
4 تموز 2025

Style, Service and Splendor by the Mediterranean

Overlooking the Mediterranean in all its splendor, Le Royal Hotels & Resorts- Beirut is just a minutes away from the city's modern airport, bustling downtown area, famed Jeita Grotto, Casino Du Liban, old souks of Byblos, majestic ski resorts and upscale shopping districts. With specious rooms and suites, Le Royal Hotels & Resorts - Beirut boasts sumptuous dining options, spectacular leisure facilities and sophisticated business amenities in an atmosphere of luxury.

THE LEADING HOTELS OF THE WORLD

Luxembourg | Luxembourg

Amman | Jordan

Hammamet | Tunisia

Sharm El Sheikh | Egypt

El Minzah | Morocco

Villa de France | Morocco

www.leroyal.com